الفصل السادس .

المدن الإسلامية

- المدينة المنورة .
- الكوفة .
- البصرة .
- دمشق .
- الفسطاط .
- القيروان .
- واسط .
- قرطبة .
- العسكر
- بغداد .
- القطائع
- القاهرة .

الفصل السادس

المدن الإسلامية

المدينة ومدلولها :

المدينة[١] هى مركز استقرار واقامه ، وهذا المعنى مشترك بينها وبين القرية، وهناك صفات تميز المدينة عن القرية أبرزها : نمط الحياة والمظهر العام ، والكثافة السكانية[٢] ومن أهم المدن الإسلامية الآتى :-

المدينة المنورة :

تبدأ نشأة المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول إليها والتى حولتها إلى "مدينة" ومدينة الرسول ﷺ هى العاصمة الإسلامية الأولى التى اتخذها منذ وصوله إليها مهاجرا من مكة بدأت تتغير معالمها العمرانية تغيرا جمع شتاتها ووحد كيانها ، وجعلها مركزا حضاريا متكاملا ، يتناسب مع كونها عاصمة الدولة الإسلامية ومركزا سياسيا وإداريا فاكتسبت بذلك صفة المدينة[٣] .

والمدينة المنورة عبارة عن سهل فسيح تحيط به الحرات من جهاته الأربع ويتميز بخصوبة التربة وكثرة المياه وكانت المدينة قبل الهجرة مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة تسكنها البطون والقبائل اليهودية والعربية ، وكل محله تضم بالإضافة إلى منازلها ومزارعها أطاما حصونا يحتمى بها السكان عند تعرضهم للخطر ، بلغ عددها تسعة وخمسين أطما ، وكان لكل قبيلة أطامها التى تحتمى بها[٤]

والمدينة كما سماها الرسول ﷺ طيبة فى مستوى من الأرض عذبة برية، جبلية وذلك لأن لها جبلين : أحدهما أحد ، والآخر[٥] غير، ولها أربعة أودية، يأتى ماؤها فى وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع يقال له حرة بنى سليم على بعد عشرة فراسخ من المدينة ، وهذه الأودية هى : وادى بطحان والعقيق الكبير، والعقيق الصغير ، ووادى قنا ، تتجمع مياه هذه الأودية كلها بموضع يقال له الغابة، ويخرج إلى واد يقال له وادى أضم ، ثم يخرج العقيق الكبير والعقيق الصغير فى آبار منها :

بئر عروة:وتقع في طرف وادي العقيق وتنسب إلى عروة ابن الزبير تشتهر بعذوبة مائها ويذهب إليها الزوار ليشربوا منها تبركا بها[٦] .

بئر أنا: وهي بئر ليهود بني قريظة ، وتقع في منطقة العوالي بالمدينة ، ويستفيد منها السكان في سقيا مزارعهم[٧] .

بئر أنس : وهي ملك لأنس ابن مالك زقد زارها الرسول ﷺ وشرب منها وتشتهر بعذوبة مائها [٨] .

بئر أهاب : يقع في الحرة أرتادها الرسول ﷺ وشرب منها ويسميها سكان المدينة بئر زمزم تبركا بها [٩] .

بئر حلوة : وتقع بجوار دار آمنة بنت سعد في زقاق حلوة وقد أوقفت في القرن الرابع الهجري لسقيا الحجاج [١٠] .

بئر القريصة : تقع في شرق المدينة آتاها الرسول ﷺ وشرب منها ويقال أن خاتمه وقع فيها وهي معروفة حتى اليوم بئر خاتم يقصدها الحجاج للزيارة وتبركا بها [١١]

بئر حار : هذه البئر ملك لإبي طلحة الخزرجي تقع خارج سور المدينة وجعلها وقفا لسقيا الحجاج الوافدين إلى المدينة [١٢]

بئر فاطمة بنت الحسين: تقع في الحرة جنوب غربي المدينة المنورة ،وقامت بحفرها السيدة فاطمة بنت الحسين وأوقفته لسقيا المسلمين [١٣] .

وبئر رمة وهى حفير بنى مازن ، ، فيشرب أهل المدينة سائر السنة من هذه الآبار [١٤] .

وبالمدينة عيون نابعة معينة ، فمنها :

عين الخيف :تقع شمال شرق المدينة من بعد الخيف الشامي المسمى عند أهل المدينة بالسيح ، ولقد أنشئ لها قنوات ومجاري لسقيا المزارع التي تحيط بها وأصلحت هذة القناة التي خربت في عهد الخليفة هارون الرشيد [١٥]

عين الشهداء : تقع بالقرب من جبل أحد شمال المدينة ، أنشأت لسقيا المزارع التي تقع شمال المدينة وأصطلح على تسميتها بعين حمزة نسبة إلى شهداء أحد أو إلى حمزة أبن عبد المطلب ﷺ ويذكر أن الذي أمر ببنائها الخليفة معاوية أبن أبي سفيان ، ويذكر أيضا أنها كانت قديمة [١٦]

عين الزرقاء : تقع جنوب غرب المدينة وتستمد مائها من عين الجعفرية ، وتتصل بمياه آبار عديدة ، أنشأ هذه العين الخليفة معاوية سنة ٥٠هـ بعد أن رأى راحة الشام في حصولهم على المياه من الأنهار الجارية في بلاد الشام ، وكان هدف الخليفة من إيصال ماء العين إلى المدينة هو استمالة سكانها إليه [١٧] ، سميت بعين الزرقاء نسبة إلى والي المدينة مروان ابن

الحكم لزرقة عينه [١٨] ، وهناك قول آخر في سبب هذه التسمية لأنها تتصل ببئر يسمى الأزرق وهي تقع قرب عين جعرانه [١٩] .

وعين الصورين ، وعين تنية مروان ، وعين الخانقين ، وعين أبى زياد ، وعين برد وعين أزواج النبى ﷺ [٢٠] ونخيلهم وزروعهم تستقى من الآبار ، التى تجريها الإبل والتى تعمل فى الزرانيق ، وأكثر أموال أهلها النخيل ومنه معاشهم وأقواتهم ، وخراجها من أعشار النخل والصدقات [٢١] .

وقد ورد ذكر يثرب فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ... ﴾ [٢٢]

وهى تقع إلى الشمال من مكة [٢٣] ويحدها من الشمال جبل أحد [٢٤] .

وكان التكوين البشرى فى يثرب مختلف عما أصبح عليه بعدما هاجر إليها الرسول ﷺ فقد سكنها اليهود ، حيث هاجروا إليها خلال القرنين الأول و الثانى الميلاديين ، على أثر الحروب التى شنها الرومان ضد اليهود ، والتى انتهت بطردهم وزوال دولتهم فى فلسطين [٢٥] فهاجر بنو النضير ، وبنو قريظة إلى شمال الجزيرة وسكنوا يثرب ، وأقاموا بها الحصون والأطام [٢٦] ، فكان هذا بداية استيطان اليهود بيثرب ، ظل بنو النضير وبنو قريظة مقيمين بيثرب حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج الوثنية ، بسبب إنهيار سد مأرب [٢٧] .

كانت علاقة اليهود بالأوس والخزرج حسنة أول الأمر ، إذ سمح لهم اليهود فى البداية بمجاورتهم ، ثم بالإقامة معهم فى يثرب ولما كانت الغلبة فى يثرب لليهود والثروة التجارية فى أيديهم ، سألهم الأوس والخزرج أن يعقدوا بينهم جوارا وتحالفوا

معهم على المسالمة وحسن الجوار، فلم يزالوا على ذلك طويلا، وصار للأوس مال وعدد، فلما رأت بنى قريظة وبنو النضير حالهم خافوا أن يغلبوهم على دورهم فترصدوا لهم حتى قطعوا الحلف الذى بينهم[٢٨].

ولما استبدت القبائل اليهودية فى يثرب بالأوس والخزرج، استنجدوا بالغساسنة فقدموا لنجدتهم، ونصروهم حتى أصبح اليهود فى حكم الموالى لهم[٢٩].

كان الأوس والخزرج فى بداية عهدهم على وفاق، ثم وقعت بينهما حروب طويلة وكان الظفر للخزرج على الأوس. ويقول ابن هشام " أنه كانت بينهم حروب كثيرة منها حرب داحس والغبراء وغيرها[٣٠].

وكان وصول الرسول ﷺ والمسلمين معه إلى يثرب نهاية للمعاناة والحروب وبداية لمرحلة جديدة طالما انتظرتها المدينة، بل أن أهلها كانوا يتطلعون إلى دعوة النبى ﷺ بل بايعوه على الحماية والنصر، ويبدوا أن أهل يثرب من الأوس والخزرج كانوا قد سئموا الحروب والحياة غير المستقرة فلم تعرف يثرب قبل الإسلام أى نوع من الإستقرار السياسى، أو التنظيم الإدارى فكان استقرار الرسول ﷺ فيها بداية للاستقرار فى شتى مناحى الحياة[٣١].

كانت الهجرة إلى المدينة تعنى انطلاقة المسلمين لتأسيس دولة الإسلام فى المدينة، حيث نزل الرسول ﷺ قبل أن يصير إلى موضع المدينة، بقباء على كلثوم ابن الهدم، ثم مات كلثوم فنزل على سعد ابن خيثمة الأنصارى، ودار سعد هذا إلى جانب مسجد قباء وهو أول مسجد أسس على التقوى وكان أول عمل قام به الرسول ﷺ عند وصوله إلى قباء في هجرته إلى المدينة المنورة وصلى فيه

الرسول ﷺ إلى بيت المقدس وأقام في قباء في بني عمرو ابن عوف ثم انتقل إلى المدينة وأسس مسجده[٣٢] .

وجدد بناء مسجد قباء في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وللمسجد أهميته الإسلامية وذكرى طيبة تهفو إليها نفس كل مؤمن ولعموم زائري المدينة ، ولأن الرسول ﷺ قال : من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى ركعتين كان له أجر عمرة [٣٣] .

وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك تم تجديد المسجد وزيد في توسعته فأرسلت الأسطوانات من دمشق ، كما تجدد بناؤه في عهد أبي جعفر المنصور[٣٤]، وفي سنة ٥٥٥هـ أمر نور الدين محمود زنكي بتجديد بنائه بعد أن أحضرت له أساطين رخامية من بلاد الشام[٣٥] .

ومن المساجد في المدينة:

مسجد القبلتين: يقع هذا المسجد في الشمال الغربي للمدينة المنورة على حافة وادي العقيق ويقال أن الذي جدد بناؤه أخيرا هو الملك المنصور صاحب اليمن سنة ٦٤٧هـ[٣٦] .

مسجد الفتح : ويسمى بمسجد الأحزاب ويقع في مكان الخندق وقد دعى النبي ﷺ فيه فاستجاب الله دعاؤه ، قام بعمارته عمر بن عبد العزيز حين كان واليا على المدينة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك حيث شيد أروقته [٣٧] ، وفي سنة ٥٧٥هـ جدد بناؤه الأمير أبو الهيجاء حيث شيد قبابه وأعمدته الرخامية وعقودا محكمة بين أعمدته ، وهناك مسجد الإجابة شمال البقيع ومسجد المائدة وكان يسمى بمسجد الجمعة [٣٨].

المسجد النبوي : أسس رسول الله ﷺ مسجده في المدينة المنورة حيث مبرك الناقة ، قال ابن هشام :" حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده ﷺ ،وهو يومئذ مربض لغلامين يتيمين من بني النجار ... سهل وسهيل أبني عمرو"[٣٩] ، وقال في موضع آخر : " فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى مسجدا ونزل ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه "[٤٠] ، وبجواره من جهة الشرق بنى منزله وكانت أبوابه مطلة على المسجد ، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار ، وكان هذا المكان مصلى أتخذه أسعد ابن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلى بالناي الصلوات الخمس ويجمع بهم"[٤١] ، وبدأ الرسول ﷺ عمارة المسجد النبوي شهر ربيع الأول من السنة الأول للهجرة وباشر العمل فيه بنفسه ليرغب المسلمين للعمل فيه ،وبنيت قبلته أولا فى اتجاه الشمال نحو بيت المقدس ، وفى سنة ٢هـ عدلت القبلة نحو مكة تلبية للأمر السماوى ، ومع تزايد أعداد المسلمين باتت الحاجة إلى توسعة المسجد من فترة للأخرى ، وكانت أول توسعة بعد غزوة خيبر سنة ٧هـ [٤٢] .

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة والمثالية في العمل والمشاركة بنفسه في تشييد هذا المسجد وعمارته وقد شاركه الصحابة والمسلمون عمله [٤٣] .

وقد جعل مواد بناءه أن يبنى من اللبن واستخدم في سقفه الجريد وعمده خشب النخيل [٤٤] ، وجاء تخطيط المسجد بسيطا حيث كان عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة تحددها أربعة جدران تتمثل في جدار القبلة الذي يمتد من الشرق إلى الغرب في اتجاه بيت المقدس ، يقابله ويوازية جدار آخر يماثله ، أما الجداران

الشرقي والغربي فيمتدان من الجنوب إلى الشمال بهيئة متعامدة على طرفي جدار القبلة، وبعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى خلفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يزد على ما كان عليه أيام النبي ﷺ .

وحين آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام بتوسعته وذلك سنة ١٧هـ من جهة القبلة فقد سمع النبي ﷺ يقول : "لو زدنا في مسجدنا هذا و أشار بيده نحو القبلة" ، وقد أقام أساسه من الحجارة في جوف الأرض بعمق ثلاثة أذرع أي حوالي ١,٥ متر[٤٥] ، وقد أقام بنيانه من اللبن فوق الحجارة وسقفه بالجريد وعمده بخشب النخل ، ولم يغير في الأبواب شيئا عما كانت عليه من قبل [٤٦] .

بنى بالمسجد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان ابتداء عمارته سنة ٢٩هـ، ونهاية سنة ٣٠هـ ،حيث زاد عثمان رضي الله عنه في المسجد زيادة هائلة وجعل مادة البناء الحجارة لشكوى الناس من ضيق المسجد ، فزاد فيه من جهة القبلة رواقا ومن جهة المغرب الأسطوانة الثانية ومن جهة الشام عشرة أذرع وقيل خمسين ذراعا ، ومن جهة الجنوب مائة ذراعا ولم يزد في أبوابه بل زاد في نوافذه ، وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وخشب النخل والجريد وبيضه بالقصة، وبنى المقصورة باللبن ، وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الأمام وكان يصلي فيها خوفا من الذي أصاب عمر وكانت صغيرة ، وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص ، وسقفه بالساج فجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع [٤٧]، وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك أمر واليه على المدينة عمر ابن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد النبوي من جهة الشرق والمغرب وشراء الدور

المجاورة بعد دفع الثمن لذويها وأدخلت على أثر هذا حجرات أزواج النبي ﷺ وثلاث لعبد الرحمن ابن عوف ،ودار عبد الله ابن مسعود ومن جهة الغرب دار طلحة بن عبيد الله ، ودار عمار بن ياسر ، ودار العباس بن عبد المطلب[٤٨] ، وزاد من جهة المغرب أسطوانتين ، ومن جهة الشرق الأسطوانة الخامسة من المنبر إلى جدار المشرق ، وزاد من جهة الشام عشرة أساطين وبناه من الحجارة المطابقة ، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب .

ويذكر أنه جعل حيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها ورؤوس الأساطين مذهبة عليها أكف منقوشة مذهبة وكذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضا ، وأقام الوليد أربع منائر في زوايا المسجد وتولى ذلك كله عمر بن عبد العزيز أثناء ولايته على المدينة[٤٩] .

وفي عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور تصدع جدر المسجد سنة ١٤٠هـ فأمر بتجديدها .

وفي عهد الخليفة المهدي سنة ١٦١هـ ضيق المسجد بحجاج الموسم فأمر واليه على المدينة جعفر بن سليمان بن على العباس بزيادة المسجد من جهة الشام مائة ذراع والشرق والغرب والقبلة خمسين ذراع ، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل ، وانتهى من زيادته سنه ١٦٥هـ [٥٠].

واستمر الاهتمام بعمارة المسجد النبوي من قبل الخلفاء العباسيين الذين أخذوا ينفذون الأموال إلى الأمراء على المدينة لتجديد وترميم ما يتصدع من المسجد

ولما حج نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٥٥هـ أمر بعمل خندق حول الحجرة الشريفة وقد صب فيه الرصاص ، وفي خلافة الناصر لدين الله العباسي عمر المسجد النبوي الشريف بواسطة إرسال النقاشين والصناع من بغداد سنة ٥٧٦هـ لعمارة المسجد وأرسلت القناديل التي صنعت وهيئت لأضاءته.

ومن حول المسجد الجامع اختطت منازل المهاجرين فى الأرض التى وهبها الأنصار للرسول ﷺ ،وأقطع الرسول ﷺ بدوره الصحابة الأراضى لبناء دورهم . واتجه إلى الجمع بين ذوى القربى فى موضع واحد(٥١) .

واتخذ الرسول ﷺ من مسجده مكانا للقاء المسلمين ، وجامعة يتعلمون فيها أمور دينهم وأحوال دنياهم ، وفيه كان الرسول ﷺ يتلقى الوحى فيعلم المسلمين ما ألقى إليه من ربه ، وفيه كانت تعقد المعاهدات ، وتمضى العهود ، ويعلن عن الجهاد، وتقلد الرايات ، وينظر فى المظالم ، وتستقبل الوفود(٥٢) .

عاشت مدينة الرسول ﷺ عصرا من الاستقرار السياسى لم تعرفه من قبل ، كما عاشت فترة من الرخاء الاقتصادى فقد أصبحت رؤوس الأموال ومصادر الدخل فى أيدى أهلها ، خاصة بعد جلاء اليهود عنها ، وتهيأت للدفاع عن دين الإسلام بل أخذت على عاتقها حماية هذا الدين ونشره خارج شبة الجزيرة العربية

بجانب المسجد النبوى ، كانت هناك مساجد اشتملت عليها خطط المدينة ، تلبى حاجات المصلين فى هذه الخطط للصلوات الخمس فقط ، أما الصلوات الجامعة فكانت فى مسجد الرسول ﷺ باعتباره المسجد الجامع ، وكان لكل قبيلة فى خطتها مقبرة خاصة لها حسب التقليد القبلى ، وبالرغم من أن البقيع أصبحت

سنة ١٠هـ / ٦٣١م أرض دفن جامعة ، فإن كل قبيلة عرفت لها جزءا من أرضها استخدمته للدفن[٥٣] .

واستكمالا لمرافق المدينة العمرانية اهتم الرسول ﷺ بانشاء السوق اتخذه فى موقع بقيع الزبير ، واعترض عليه كعب بن الأشراف أحد زعماء اليهود المناوئين للإسلام فنقلها الرسول ﷺ إلى موقع سوق المدينة ، وقال : " هذا سوقهم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج "[٥٤] .

وكان سوق المدينة فضاء واسعا لا بناء فيه ، والمكان لمن سبق ، وضربت فيه الخيام ، ولم يبدأ بالسوق إلا فى بداية العصر الأموى وذلك بداية من عهد معاوية .

واتخذ الرسول ﷺ المعسكرات لجنده خارج المدينة على مسافة منها ، ومثال لذلك معسكر الجرف الذى بعد عن المدينة ثلاثة أميال اتجاه الشمال[٥٥] .

وظلت مدينة الرسول ﷺ عاصمة للخلافة الإسلامية وحاضرة للمسلمين خلال عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة .

ومرت الأحداث العنيفة التى ميزت عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه وعبرت الأمة المحنة يوم كانت بلا إمام إلى أن انتخب الإمام على كرم الله وجهه إماما للمسلمين، ولما غادرها إلى العراق فارقتها الخلافة ، وزال عنها مقر الحكم إلى دمشق ومنها إلى بغداد[٥٦] .

١. الكوفة ١٧هـ / ٦٣٨م[٥٧]

السبب فى بنائها ، يذكر أنه بعد فتح المسلمين للعراق كانت رسلهم ترد على عمر رضي الله عنه ، فيرى فى وجوههم ، وألوانهم تغيرا ، فسألهم عن سر ذلك فقالوا له :

وخومة البلاد ، فكتب إلى سعد بن أبى وقاص انبئنى ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم فكتب إليه "إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة" ، فكتب إليه عمر "إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق ابلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة وكان رائدى الجيش دائنين فليرتادا منزلا بريا وبحريا ليس بينى وبينكم منه بحر ولا جسر[٥٨] فبعث سعد بن أبى وقاص سلمان وحذيفة يسيران غربى الفرات حتى أتيا موضع الكوفة" وهو حصباء ورمل فأتيا عليها وفيها مميزات ثلاث هى : ارتفعت أرضه عن البقة ، وتطأطأت عن السخة ، وتوسطت الريف ، وظعنت فى آنف البرية[٥٩] ، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا ، ودعوا الله أن يبارك لهم فى هذه الكوفة وكتب إلى سعد بالخبر ، فأبلغه سعد إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمره أن يسير بالجنود إليها فأرسل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة فى المحرم سنة ١٧هـ / يناير ٦٣٨م[٦٠] .

وكان عمر يريد أن يقيم المسلمون فى خيامهم ، لأن ذلك أجد فى حروبهم، وأذكى لهم ، وأهيب فى عين عدوهم ، ولما استأذنه أهل الكوفة والبصرة فى بنيان القصب لم يحب أن يخالفهم ، وأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب ، ثم أن الحريق وقع فى الكوفة وبالبصرة[٦١] فاستأذنوا عمر فى البناء باللبن ، فقال : " أفعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (حجرات) ، ولا تطاولوا فى البنيان " وجعل على تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بناءها أبو الهياج ابن مالك الأسدى[٦٢] .

أرسل سعد إلى أبى الهياج فأخبره بكتاب عمر فى الطريق : من " أنه أمر بالمناهج - الشارع الرئيسى - أربعين ذراعا ، وما يليها الشوارع الثانوية ثلاثين

ذراعا، وما بين ذلك عشرين ، وبالأزقة سبعة أذرع ،وليس دون ذلك شئ ، وفى القطائع ستين ذراعا[٦٣] .

وكان أول شئ خط بالكوفة مسجدها فاختطوه ، وجاء تخطيط المسجد في عهد الوالي سعد ابن أبي وقاص من مساحة مربع تنقسم إلى صحن وظلة القبلة ، ثم قام فى وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه وشماله ، ومن بين يديه ومن خلفة ، ثم أمر ببناء الخطط وراء مواقع السهام ، وبنى فى مقدمة المسجد ظله ذرعها مائتان على أساطين رخام كانت للأكاسرة ، وبنوا بجوار المسجد دار الإمارة بينها وبين المسجد طريق منقب مائتى ذراع ، وجعل فيها بيوت الأموال ، وبنى ذلك له رورية الفارسى من أجر بنيان الأكاسرة بالحيرة[٦٤] .

وبالنسبة لتقسيم الخطة بين أفراد القبيلة ، فإن اليعقوبى يذكر ذلك بقوله : "إن كل قبيلة كانت تقسم الخطة المخصصة لها " وكان الأمر متروكا لحرية تصرف اختيار القبيلة ، وكان لكل قبيلة فى خطتها مسجد ومقبرة خاصة بها .

ومن هذه المنطقة "وسط المدينة" امتدت الشوارع "المنهاج" خمسة فى اتجاه الشمال ، وأربعة فى اتجاه الجنوب ، وثلاثة فى اتجاه الشرق ، وثلاثة فى اتجاه الغرب، وأطلق عليها "مناهج أهل العزم" وكانت الشوارع الثانوية تسير موازية للشوارع الرئيسية ، وأحيانا متقابلة معها ، وأطلق عليها "منهاج الدهناء"[٦٥] ، ثم يلى ذلك الشوارع الفرعية التى كانت أقل اتساعا ، وتربط التكوينات المعمارية بالشوارع الثانوية والرئيسية[٦٦] .

وبالنسبة لتقسيم الخطة ...

كان سوق المدينة فى منطقة الوسط ، وكان عبارة عن ساحة مضاء كما هو الحال وسوق المدينة المنورة ، حيث كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حريصا على أن تظل السوق بالهيئة التى أقرها الرسول ﷺ فى المدينة[٦٧] ، وأشار اليعقوبى أن السوق فى الكوفة كان فضاء لا توجد به مبان أو سقف سوى تلك الظلل التى عملت لتظل البائعين فى أماكنهم التى اختاروها ، واستمرت السوق على هذه الهيئة فى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) عندما قام عامله على الكوفة خالد القسرى بإنشاء الأسواق على هيئة معمارية جديدة ، تشتمل على جوانب سفلية ومساكن علوية لمبيت التجار[٦٨] .

وقد اتخذ على بن أبى طالب رضي الله عنه الكوفة قصرا لخلافته ، وذلك لأن بها شيعته وأنصاره ، ولخصوبة أرضها ، وكثرة خيراتها ، ووقوعها فى مكان متوسط بين أقاليم الدولة الإسلامية ، ولأنها من وجهة نظره أصلح من غيرها فى حرب معاوية بالشام[٦٩] ، وما زال لها شأن عند الشيعة إلى وقتنا الحالى ، وفى ولاية عبد الله بن زياد، بنى المسجد وأنفق عليه نفقات طائلة ، حتى أصبح فريدا بين مساجد زمانه[٧٠] .

ثم اتسعت الكوفة وامتد عمرانها حتى بلغت فى أوائل القرن الرابع الهجرى ستة عشر ميلا وثلثى ميل ، وبنى فيها خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر ، وأربع وعشرون ألف دار لسائر العرب ، وستة آلاف دار لليمن[٧١] .

والتخطيط الذى وضع لبناء الكوفة ، يدل دلالة واضحة عن نظام هندسى راقى، فضلا عن كونه يتلاءم مع طبيعة العرب ، فلم يحجب هواء البادية عن أهلها الذين نشأوا فى بادية الجزيرة العربية ، لكثرة الشوارع واتساعها ، فعاد إليهم نشاطهم واستردوا حيويتهم وقوتهم[٧٢] .

٢. البصرة ١٧هـ / ٦٣٨م [٧٣]

البصرة أقدم المدن الإسلامية ، وهى تقع عند ملتقى دجلة والفرات فى الموضع المعروف بشط العرب ، وموقعها قريب من الماء والمراعى فى طرف البر إلى الريف فيه قصباء – ما يشبة البوص – ودونه منافع ماء ، وهى إحدى أمهات مدن العراق الشهيرة ، وهى مدخل العراق الجنوبى وتقع فى ملتقى البحر والسهل والخصب والصحراء إذ هى مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين[٧٤] .

وعن تاريخ بناؤها هناك اختلاف بين المؤرخين فى تحديد ذلك حيث ذكر أنها بنيت قبل الكوفة فى سنة ١٤هـ ، ويذكر البعض أنها بنيت بعد الكوفة سنة ١٧هـ ، ويمكن الجمع بين الآراء فى أن العرب نزلوها سنة ١٤هـ إلا أنها لم تخطط إلا فى سنة ١٧هـ تلك السنة التى خططت فيها الكوفة ، ويؤكد ذلك قول الطبرى : " أن أهل الكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر رضي الله عنه فى بنيان القصب فلم يحب أن يخالفهم فأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب ، فلما وقع حريق بالكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر رضي الله عنه فى البناء باللبن فقال " افعلوا ولا يزيد أحدكم على ثلاث حجرات ولا تطاولوا فى البنيان ، وكتب إلى عقبة بن غزوان وأهل البصرة بمثل ذلك ، وجعل على تنزيل أهل البصرة والإشراف على بناءها عاصم بن الدلف أبو الجرداء .

وكان السبب فى نزول المسلمين بها سويد بن قطبه الذهلى كان يغير على العجم فى ناحية الخريبة من البصرة قبل أن ينزلها ، ولما بلغ عمر رضي الله عنه خبره وما يصنع بالبصرة ، رأى أن يوليها رجلا من قبله ، وأن ينزلها المسلمين ، ليحولوا بين أهل فارس ومن إليهم ، وإمداد اخوانهم من أهل المدائن ونواحيها ، فولاها عتبه بن غزوان ، وقال له : أن الحيرة قد فتحت فأت أنت ناحية البصرة ، واشغل من هناك من أهل فارس والأهواز وميسان عن امداد إخوانهم فسار إليهم عتبة فى أكثر من ثلاثمائة رجل انضم إليه سويد بن قطبة وغيره من الأعراب وأهل البوادى ، ونزلها فى ربيع الأول أو الآخر سنة أربعة عشر[٧٥] .

كتب بن غزوان إلى الخليفة عمر يستأذنه فى تمصير البصرة وقال له : "إنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا اشتوا ويكسون – يستترون – فيه إذا انصرفوا من غزوهم[٧٦] ، فكتب إليه الخليفة عمر : إن ارتد لهم منزلا قريبا من المراعى والماء، واكتب إليا بصفته ، فكتب إليه "إنى قد وجدت أرضا كثيرة الفضة – الحجارة – فى طرف البرالى الريف ، ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء "[٧٧] .

ولما وصلت الرسالة إلى عمر قال : "هذه أرض بصرة ، قريبة من المشارب والمراعى المحتطب"[٧٨] وكتب إليه أن أنزلها ، فنزلها وبنى مسجدها من قصب باعتباره نواة المدينة ، وبجواره عن قرب دار الإمارة ، ثم أقطعت القبائل خططها حول المسجد ، وخططت الشوارع فجعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعا ، وجعلوا عرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعا ، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمربط خيلهم وقبور موتاهم وتلاصقوا ،

ولم يفعلوا ذلك إلا عن رأى اتفقوا عليه ، أو نص لا يجوز خلافة ، وتركت حرية تقسيم الخطط للقبائل التى اختطت وبنيت منازلها[٧٩] ، وبنى الناس منازلهم من القصب فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب ، ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو ، فيعيدون بناءها كما كان وهكذا[٨٠] .

ولما مات عتبة بن غزوان ولى عمر عليها أبا موسى الأشعرى سنة ١٧هـ/٦٣٨م وظل حتى سنة ١٩هـ/٦٤٠م[٨١] وفى عهده بدأت تزداد أهمية البصرة وزاد عدد المهاجرين إليها ، وأدى ذلك إلى تطورها فاختط الناس ، وبنوا المنازل باللبن ، بعد أن أذن لهم عمر فى ذلك لأن القصب كان يحترق "كما ذكرنا"، وبنى أبو موسى الأشعرى المسجد الجامع بها باللبن والطين وكذلك دار الإمارة، وسقفها بالعشب[٨٢] ،ويعد مسجد البصرة من الساجد الأولى التي شيدت خارج شبه الجزيرة العربية في العصر الراشدي ، وكان من مساحة مربعة خططت على هيئة صحن وظلة للقبلة على غرار المسجد النبوي ، وأمر الناس بالبناء فى الخطط التى فتحت لهم ، واتجه إلى تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب ولا سيما أن المياه التى كانت تصل إليها كانت مالحة ، فبدأ مشروع حفر نهر الأبلة[٨٣] ،الذى تم فى عهد عبد الله بن عامر (٢٥-٣٦هـ/٦٤٦-٦٥٧م) ، وهو وغيره من مجموعة الأنهار التى زودت المدينة بالماء اللازم ، ووصلتها تجاريا بالأقاليم المجاورة فدفع ذلك إلى نموها وازدهارها[٨٤] .

وساهم عبد الله بن عامر أثناء ولايته للبصرة على تطويرها حيث شجع العمران بالمدينة ، ومنح الإقطاعات للأشخاص لزيادة الإنتاج ، واتخذ الأسواق

بالمدينة ، فقام بشراء عدد من الدور وبنى فى موضعها سوقا ولا سيما المربد لم تعد قادرة على سد الحاجات الجديدة بالمدينة[٨٥] .

ولما استعمل معاوية بن أبى سفيان زياد بن أبيه واليا على البصرة سنة ٥٥هـ/٦٧٤م مرت البصرة بمرحلة تالية من التطور ، حيث بدأت المنازل وغيرها تبنى بالأجر والحصى فأعاد بناء الجامع ودار الإمارة بهذه المواد وسقفه بالساج ، وبنى منارة المسجد بالحجارة فصار من أحسن الأبنية[٨٦] كما أعاد زياد بن أبيه تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها السكنية ، متبعا نفس نظام الكوفة ، فقسمها إلى خمسة أخماس ، كل خمس مجموعة من العشائر التى تنتمى إلى قبيلة واحدة ويرأسه رئيس من تلك القبيلة ، وسهل ذلك فى إدارة المدينة ، وسهل استنفار الجند وهذا هو الهدف الأسمى من هذا التقسيم[٨٧] .

كما شجع زياد بن أبيه على تأسيس الأسواق حيث بنى "مدينة الرزق" وهى عبارة عن سوق واسعة لها أربعة أبواب وتحتوى على أنشطة اقتصادية ، كما أنه اهتم بإنشاء الوحدات العمرانية المتصلة بإتساع المدينة وزيادتها ، كالمحلات والمربعات والحمامات[٨٨] .

وصاحب اتساع مدينة البصرة زيادة فى عدد سكانها ويدل على ذلك أن عدد مقاتليها خلال عهد زياد بن أبيه بلغ ثمانين ألفا ، وعيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل[٨٩] .

ونظرا لموقعها المتوسط بين الشام وفارس ، أسرع إليها العمران واتخذها الأمويون مقرا لإمارة العراق فاتسعت عمارتها حتى بلغت مساحتها فى إمارة

خالد بن عبد الملك القسرى(١٠٦-١٢٠هـ) فرسخين[٩٠] ،والفرسخ يساوى ٥٥٤٤ متر[٩١] .

وكانت البصرة خلال العصر العباسى ملتقى التجارة ، وتجارتها تمتد شرقا إلى الهند والصين ، وغربا إلى أقصى بلاد المغرب ، وجنوبا إلى الحبشة ، واشتهر أهلها بالأسفار التجارية إلى كل الجهات ، ويؤكد ابن الفقيه الهمذانى ، على شهرة تجار البصرة وكسبهم فى الاتجار مع البلاد المختلفة ، بقوله : "أبعد الناس نجعه – سعى وراء الكلأ – فى الكسب بصرى وحميرى"[٩٢] .

ومما زاد أهمية البصرة التجارية خلال العصر العباسى أنها ورثت نشاط الأبلة التجارى ، حيث انتقل إليها عدد كبير من التجار ، فزاد عمرانها وتوسعت حدودها حتى أصبحت الآبلة وعبادان أشبه بضواحى البصرة ، ويؤكد المقدسي ذلك بقوله : "أما البصرة ضمن مدنها الآبلة"[٩٣] .

ومن الجدير بالذكر أن الأهمية التجارية والاقتصادية للبصرة قد لفتت أنظار الخلفاء العباسيين ، لكونها تدر موارد غير قليلة على خزينة الدولة ، سواء عن طريق مزاولتها النشطة للتجارة أو من تردد عدد كبير من التجار الغرباء أصحاب الثروات عليها أو الإقامة فيها مما حفز بعض الخلفاء على إدخال بعض الإصلاحات فيها واستحداث الخدمات العامة ، منها انتقاء خبرة الولاة لإدارتها ، ومداومة الإشراف عليها ، وإيصال المياة العذبة من نهر دجلة إليها[٩٤] ، قال البلازدى : وكان الولاة والإشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة ويحضرون الصهاريج[٩٥] .

وكانت مياه البصرة مرسى مئات السفن التجارية التى كانت تحمل أصناف التجارات منها وإليها ، وقد أشاد المقدسى بتجارتها قائلا :لم تسمع بخز البصرة وبزها وطرائفها وبأزرها ، وهى معدن اللؤلؤ والجواهر وفرضة البحر ومطرح البر[٩٦] ولذا تكاثرت ثرواتها وبنى أهلها القصور والحدائق ، وأنشأوا البرك والميادين[٩٧] .

وهكذا تحولت البصرة من مجرد معسكر حربى إلى مدينة ذات معايير مدنية واضحة ، تمثلت فى مناحى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

٣. *دمشق* :

تقع دمشق في أرض مستوية على خط طول ٣٠شرقي غرينتش وعلى درجة عرض ٣٣شمالا إلى الشرق من المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية ، وتتكون من ثلاثة أقسام طبيعية هي المنطقة السهلية والمنطقة الجبلية المحيطة بالمدينة ، ويشرف على دمشق من جهة الغرب جبل الشيخ ويعرف بجبل الثلج بينما تتصل من الشرق والجنوب ببادية الشام ولذا تتمتع بموقع جغرافي فريد ، ويصفها اليعقوبي بقوله : " ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة ، وهي مدينه الشأن في الجاهلية والإسلام ، وليس لها نظير في جميع أجناد الشأن في كثرة أنهارها وعمارة نهرها الأعظم يقال له بردا ٠٠٠وكانت منازل ملوك غسان ، وبها آثار لآل حفنة والأغلب على مدينة دمشق أهل اليمن ، وبها قوم من قيس ، ومنازل بني أمية وقصورهم أكثر منازلها وبها خضراء معاوية ، وهي دار الأمارة ومسجدها الذي ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام أو الذهب٠٠٠"، ودمشق من المدن القديمة فى بلاد الشام[٩٨] وهى مدينة الشام فى الجاهلية والإسلام ، وليس لها نظير فى جميع مدن

الشام فى كثرة أنهارها وعمارتها ، ونهرها الأعظم يقال له "بردا"[٩٩] وهى قلعة من قلاع العلم والحضارة يشهد بذلك تاريخها القديم وقد توالى على دمشق كثير من الحكام فاهتموا بها ، وجعلوا منها قبلة للعلماء ، حكمها الآراميون واليونانيون والرومان والبيزنطيون ، ودخلها المسلمون فاتحين فى عصر الفاروق عمر سنة أربع عشرة حيث افتتحها أبو عبيدة بن الجراح من باب لها يقال له باب الجابية صلحا، بعد حصار سنة ، ودخلها خالد بن الوليد من باب يقال له الشرقى بغير صلح ، فأجاز أبو عبيده الصلح فى جميعها وكتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجاز ما عمل به أبو عبيده[١٠٠] ، لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخها ، ولتسهم فى بناء صرح الحضارة الإسلامية ٠

ودمشق بحكم موقعها الجغرافى ملتقى الحضارات ، فهى منذ القدم البوتقة التى انصهرت فيها حضارات الشرق القديم ، من العراق ومن بلاد الحيثيين ومن مصر ، وظل دورها كمركز من مراكز الحضارة علامة بارزة فى تاريخها ٠

وكانت دمشق خلال العصر الأموى حاضرة الدولة الإسلامية ، حيث اتخذها الخلفاء الأمويون مقرا لهم بنى بها معاوية دار الإمارة وكان بناء المسجد الأموى نقطة تحول فى تاريخ المدينة ، إذ أصبحت واحدة من أهم المدن الإسلامية٠

المسجد الأموي:

يعد المسجد الأموى أهم الأثار الإسلامية بها . ويقول ابن جبير أن المسجد الأموى من أشهر جوامع الإسلام حسنا ، واتقان بناء ، وغرابة صنعة ، واحتفال تنميق وتزيين ، وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه ... أنتدب

لبناءه الوليد بن عبد الملك رحمه الله ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص أثنى عشر ألفا من الصناع من بلاده ... فأمتثل أمره ... فشرع في بناءه وبلغت الغايات في التأنق فيه ، وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء ، وخلطت بها أنواع الأصبغة الغريبة ،قد مثلت أشجارا ، وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص ، ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف... وذكر أنه وضع في بناءه مائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ومائتا ألف دينار، فكان مبلغ الجميع أحدا عشر ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار"[١٠١] .

وقد جاء المسجد يشغل مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب طولها ١٥٦م بعرض ٩٧م، وفي سنة ٤٧٥هـ /١١٨٢م غطيت الثلاث قباب بجمالون يتوسطه قبة حجرية من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي ويصل أرتفاعه عند البلاطة الوسطى ٢٣م بينما أرجاء المسجد ١٥م.

أما الصحن فقد جاء من مساحة مستطيلة يبلغ طولها ١٢٥م تقريبا ويزيد عرضها عن ٦٠م تحيط به ظله من جوانبه الثلاثة الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية وتتكون كل ظلة من بلاطة واحدة.

ويروى أن المسجد أصلا هو ما اختطة أبو عبيده بن الجراح أحد قادة الفتح، وكان قد دخل المدينة بعد فتحها صلحا سنة ١٣هـ/٦٣٤م واستولى على النصف الشرقى للكنيسة المسيحية بها وصيره مسجدا ، وهو جامع دمشق المعروف[١٠٢] وظل النصف الغربى بأيدى المسيحيين وفقا لشروط الصلح .

وفى رواية أخرى أن المسجد أقيم مكان معبد وثنى قديم للإله جوبتر :حوله الإمبراطور ثيودور سنة ٣٧٩م إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة القديس يوحنا ، فبنى أبو عبيده بن الجراح المسجد الأول فى دمشق ، فلما جاء الوليد بن عبد الملك أرسى مسجده مكان المعبد والجامع والكنيسة معا[١٠٣] .

ويرى علماء الأثار أن المسجد الأموى فى دمشق بنى كله دفعة واحدة ولم يدخل فى بنائه الكنيسة أو المعبد ، كما لم يكن بناؤه استكمالا لبناء سابق ، ذلك لأن الوليد بناه دفعة واحدة – وظل بناءه لمدة ثمانية أعوام ، وانفق عليه خراج الدولة الإسلامية سبع سنين[١٠٤] .

والمسجد الاموى من المساجد الجامعة العظيمة فى الإسلام ، وقد كان موضع عناية واهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين والحكام فزادوا فيه ، واحتل مكانة بارزة فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، فهو الذى جعل المدينة تتوق إليها الأنظار ، ويؤمها العلماء ورجال الدين ، ويفد إليها طلاب العلم من كل مكان ، وظلت مدينة دمشق حاضرة الشام عاصمة للخلافة الإسلامية حتى انتهاء الدولة الأموية[١٠٥]

قصر الخضراء والصفراء :

نزل الأمويون مدينة دمشق في العصر الراشدي وبنوا فيها قصورهم ومنازلهم ومنها خضراء معاوية التي أقامها معاوية ابن أبي سفيان أثناء ولايته على الشام في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم أصبحت دار للأمارة ، وبقيت قصر الخلافة الأموية بعد إعلان الدولة الأموية في عام ٤١هـ / ٦٦١م ويعد هذا القصر من روائع العمارة بدمشق ويقع إلى الجنوب من سور الجامع عرف بقصر الخضراء لأن القبة

والجدران طليت باللون الأخضر، مر القصر بمرحلتين من العمارة وظل مقرا للأمويين حتى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك(٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م) حيث اتخذ مقرا آخر بدل من قصر الخضراء فشيد قصرا بدرب محرز في موضع سقاية جيرون وجعل له قبة صفراء "

٤. **الفسطاط ٢١هـ / ٦٤١م:**

دخل عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية بعد فتحها، ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها فهم أن يسكنها وقال: "مساكن قد كفيناها"[١٠٦].

فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه فى ذلك، فسأل الخليفة رسول عمرو: هل يحول بينى وبين المسلمين ماء، قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل، فكتب الخليفة عمر رضي الله عنه إلى عمرو: "أنى لأحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف[١٠٧]، على ذلك تحول عمرو عن الإسكندرية إلى الفسطاط، واختار موضع الفسطاط على الشاطئ الشرقى للنيل بجوار حصن بابليون.

ويحدد المقريزى موقع مدينة الفسطاط حين اختطها العرب فيذكر: "أنه كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم، ولم يكن فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف بقصر الشمع، وبالقلعة وكان بجوار هذا الحصن من بحرية، وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم، فضاء موضعها الجامع العتيق وكان فيما بين الحصن والجبل عدة كنائس للنصارى ... "[١٠٨].

هذا ويدل موقع الفسطاط على نظرة صائبة من قبل العرب إذ يمتاز موقع هذه المدينة بتوسطه بين مصر السفلى ، والعليا ، وله عدة مزايا تجارية وسياسية وحربية، فقد اثبتت الحفريات أنها قامت على كتلة عظيمة من الصخر ، تشمل هضابا ووهادا وكان وجودها على تلك الربوة يمنع فيضان الماء عليها ، وكانت هذه الربوة مغطاة فى وقت ما باحجار كبيرة جدا ، فكسرت وسويت[١٠٩] .

وكان جانب المدينة الشرقى جبليا ، يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال ، وكانت تبدو حين ينظر إليها من بعيد كأنها جبل[١١٠] وقد اعتاد العرب عامة على اختيار عواصمهم بعيدة عن السواحل[١١١] .

وبهذا تحققت للفسطاط الحماية الطبيعية ، وكان وجودها على رأس الدلتا قد جعلها فى مأمن من هجمات العدو فيحميها من الشرق جبل المقطم ضد العدو وضد فيضان النيل ، كما كان لها جانب يمكن أن يضطرد اتساعها منه وهو الشمال ، وبنيت العسكر والقطائع فى هذه الناحية[١١٢] .

وقد تعددت آراء المؤرخين حول لفظ فسطاط الذى أطلق على العصمة الجديدة ، من اشهر هذه الآراء أنها سميت نسبة إلى فسطاط عمرو أى خيمته ، الذى تركه فى ذلك المكان عندما أراد التوجه إلى الإسكندرية بعد فتح حصن بابليون ، إذ وجد يماما قد فرخ فقال عمرو : "لقد تحرم منا بحرم" وأقر فسطاطه كما هو وأوصى به صاحب الفقر ، ولما عاد المسلمين من الإسكندرية قالوا أين ننزل ؟ قال : الفسطاط ، أى لفسطاطه الذى كان خلفه[١١٣] .

ويذكر الجواليقى أن لفظ فسطاط فارسى معرب[١١٤] ، والأصوب أن هذا اللفظ مشتق من اللفظ اليونانى "فساطن" المشتق من اللفظ اللاتينى (Fossatum) الذى يطلقه الرومانيون على معسكراتهم الحربية ، وكانت كلمة فسطاط شائعة فى أرجاء الامبراطورية البيزنطية حيث كانوا يطلقونها على معسكراتهم الحربية وتؤيد أوراق البردى ذلك القول ، فاسم فسطاط كان موجودا قبل تأسيس الفسطاط ، وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعد ما احتلوا المعسكر الحربى[١١٥] .

كانت الفسطاط أول أمرها مدينة متواضعة مشيدة باللبن لا يعلو بنيانها على الطابق الواحد[١١٦] ، وكان هذا يتفق مع حياة البساطة التى كان عليها المسلمون فى ذلك الوقت ، كما جرت العادة لدى العرب بدأ عمرو بإنشاء المسجد الجامع ، وخط فى المنطقة المحيطة به سوقا ومن حول ذلك السوق اختطت الخطط للقبائل وجعلت خطة "أهل الرأى" قريبة من المسجد[١١٧] ، واختط عمرو داره بجوار المسجد، وحول داره والمسجد خطط القبائل العربية وغيرهم من أقوام الفرس والروم الذين سبق لهم الدخول فى الإسلام[١١٨] .

ويشير وصف هذه الخطط إلى أن بعضها اختص بقبيلة واحدة ، وأن القبائل الكبيرة العدد كان لها أكثر من خطة ، والقبائل محدودة العدد ضمت مع بعضها فى خطة واحدة[١١٩] .

وكانت خطط القبائل العربية تمتد من النيل غربا حتى عين الصيرة شرقا ، ومن جبل يشكر شمالا حتى الشره وجبل الرصد (اسطبل عنتر جنوبا)[١٢٠] وبلغت خططها سبعا وأربعين خطة عند إنشائها [١٢١] وأطلقت على كل خطة اسم القبيلة

التى استقرت فيها ، وتركت حرية تقسيم كل خطة لأفراد القبيلة ، وكان بكل خطة مسجد أو أكثر ، وتضمنت الخطط ساحات فضاء أو رحاب استغلت فى أغراض مختلفة[١٢٢] .

ولم تكن خطط الفسطاط لجميع قوات عمرو ، وذلك لأن عمرو بن العاص كان قد استبقى نصف قواته للإقامه بالفسطاط ، فى حين أرسل فريقا من قواته للمرابطة بالإسكندرية وسائر الثغور المصرية[١٢٣] .

وعلى الرغم من أن الفسطاط بدأت متواضعة إلا أن العرب سرعان ما تخطوا البساطة وتوسعوا فى البناء إذ شيد عبد الله بن سعد بن سرح والى مصر (٢٥-٣٥هـ) من قبل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ قصرا كبيرا عرف باسم "قصر الجن"[١٢٤] .

كما بنى مروان بن الحكم لنفسه بعد أن ولى الخلافة دارا عظيمة عند قدومه إلى مصر سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م ، كذلك شيد بها عبد العزيز بن مروان دارا ضخمة أطلق عليها دار الذهب ، وجعل لها قبة كانت إذا طلعت الشمس عليها لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره ، ويقال إن الدار كانت من الضخامة لدرجة أنها سميت بالمدينة لعظم سعتها[١٢٥] .

وبنى بالفسطاط أيضا الحمامات والأسواق ، والميادين كما أسس لها المصانع المختلفة ، فبنى عبد العزيز بن مروان قيساريات العسل والحبال والبز ، وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بقيسارية هشام[١٢٦] ، وهكذا شقت الفسطاط

طريقها لأن تكون مدينة ذات حضارة لأن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التى تدعو إليها الترف والدعة وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها[١٢٧] .

وعلى الرغم ما تعرضت له الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية من تدمير خلال الاضطرابات التى تعرضت لها بعد ذلك ، فان المدينة أخذت تنمو حتى أصبحت دهشة الرحالة القادمين من كل مكان فقد وصفها الاصطخرى المتوفى سنة ٣٤٠هـ / ٩٩٠م أن دور الفسطاط تتكون من أربع طبقات وخمس كالمنائر، يدخل إليها الضياء من الوسط وأنه يسكن الدار الواحدة مائتى نفس[١٢٨] .

أما ناصر خسرو الذى زار مصر خلال القرن الخامس الهجرى فقد ذكر أن الفسطاط تبدو بعيدة كالجبل لارتفاع منازلها التى تتراوح بين سبع طبقات وأربع عشرة طبقة ، كما أشار إلى أن شوارعها تضاء نهارا بالقناديل لأن ضوء الشمس كان لا يصل إلى أرضها[١٢٩] .

ووصف القضاعى الفسطاط خلال القرن الخامس الهجرى بأن لها ستة وثلاثون ألف مسجد ، وثمانية ألف شارع ومائة وسبعون حماما[١٣٠] .

ومن الملاحظ أن الفسطاط ظلت تحتل مكان الصدارة والأهمية وظلت تزدحم بالسكان ، وكان ساحلها عامر بالمراكب كما كان بها داران للصناعة – صناعة السفن – وهما صناعة الروضة ، وصناعة الفسطاط[١٣١] .

تعرضت الفسطاط أكثر من مرة للتخريب ففى سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م أمر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أميه بإحراقها أثناء فراره أمام جيوش العباسيين بعد انسحابه منها[١٣٢] .

كذلك تعرضت المدينة للسلب والنهب عندما قام محمد بن سليمان قائد الجيش العباسى سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م بمحاربة الطولونيين[١٣٣] ، وتعرضت المدينة للنهب على يد الجنود الفاطميين زمن الخليفة الحاكم بأمر الله ، والخليفة الظاهر ، وكان أخطر ما تعرضت إليه الفسطاط من تخريب خلال أيام الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر بالله سنة ٤٥٧-٤٦٤هـ / ١٠٦٥-١٠٧١م[١٣٤] .

كما منيت الفسطاط بخراب عظيم أتلف معظم مرافقها وذلك أثناء الصراع الذى نشب بين شاور وضرغام وزيرى الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٨م ، وذلك بعد أن أمر شاور بإخلائها من سكانها ، وبعث إليها بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار ، وفرق ذلك لمنع الجيش الصليبى بقيادة عمورى ملك بيت المقدس من الاستيلاء على مصر ، واستمرت النيران مشتعلة فيها حوالى أربعة وخمسين يوما[١٣٥] .

ومنذ هذه الحادثة أفل نجم الفسطاط رغم أن صلاح الدين الأيوبى حاول أن يجمع بين القاهرة وما بقى من الفسطاط بسور واحد[١٣٦] ، حيث تحولت الفسطاط إلى الأطلال المعروفة الآن "بكيمان" وحسبنا دليلا على ما أصابها من خراب وتدهور ذلك الوصف الذى تركه لنا الرحالة المغربى على بن سعيد الذى زار مصر سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م ، إذ يقول : "ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء ، وأفاقا مغبرة ، ودخلت من بابها وهو دون غلق يفضى إلى خراب مغمور بمبان مشتته الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود

والأزبال ما يقيض نفس النظيف وبعض طرف الظريف ...[١٣٧] ، ومع مطلع القرن التاسع الهجرى كان ميناء الفسطاط قد تلاشى ، كما تدهورت الفسطاط وفقدت أهميتها الاقتصادية بشكل تدريجى حتى هجرها الناس فى نهاية القرن التاسع الهجرى[١٣٨] .

٥. القيروان ٥٠هـ / ٦٧٠م :

يذكر أن عقبة بن نافع الفهرى خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حديج سنة ستة وأربعين ومعه بسر بن أبى أرطأة ، وشريك بن سمى المرادى ومعه ناس آخرون واصل فتوحة واستيلائه على الحصون حتى وصل القيروان الذى كان معاوية بن حديج قد بناه قبله فلم يعجبه ، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان ، وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام ، نادى بأعلى صوته : يأهل ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون ، نادى بذلك ثلاثة أيام[١٣٩] .

وكان عقبة مستجاب الدعوة ، ثم نادى : أيتها الحيات والسباع انا أصحاب رسول الله ﷺ أرحلوا عنا ، فإنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم إلى الدواب تحمل أولادها وتنتقل ، فرآه قبيل كثير من البربر فأسلموا ، وقطع الأشجار ، وأمر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع ، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع والباع يساوى ١,٨٤ مترا .

وكان عقبة أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ، واتسعت خطة المسلمين ، وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها وكان ذلك سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م[١٤٠] .

ويذكر ابن عذارى المراكشى أن أصحاب عقبة أشاروا عليه أن يتخذ عاصمته فى أفريقية قريبة من البحر حتى يتسنى لهم الجهاد والرباط ، إلا أن عقبة رد عليهم قائلا "أنى أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر إلا وقد عام به"(١٤١) .

وكان عقبة موفقا فى اختيار موقع المدينة ، حيث أن بعدها عن البحر يجعلها فى مأمن من غارات الأساطيل البيزنطية ، وأن موقعها الداخلى بالقرب من الأراضى السبخة جعلها تشرف على المراعى التى سهل على ابل وخيول وحاشية المسلمين ارتيادها(١٤٢) .

بنى عقبة بن نافع مدينة القيروان مكان حصن قديم للدولة ، وكانت القيروان رابع مدينة إسلامية يؤسسها المسلمون فى الأمصار ، وقد بدأ بناءها سنة ٥٠هـ/٦٧٠م انتهى سنة ٥٥هـ/٦٧٥م .

مسجد القيروان:

اهتم عقبة بن نافع بالعاصمة الجديدة ، وكان المسجد هو أول ما اختط فيها، وقد وصف المؤرخون اهتمام عقبة بالمسجد الجامع بالقيروان ، حتى أنهم قالوا أن عقبة بن نافع بنى مسجدا له ، وقد زاد في هذا المسجد حسان ابن النعمان ، قال ابن عبد الحكم: " ثم أنصرف حسان فنزل موضع قيروان أفريقية اليوم وبنى مسجد جامعتها..."(١٤٣)، ثم زاد فيه بشر ابن صفوان في عام ١٠٥هـ / ٧٢٣م وتمثل عمارته آخر الزيادات في العصر الأموي(١٤٤) ، وقد ازدهرت المدينة حتى أصبحت عاصمة

المغرب كله ، ووصفها ابن حوقل بقوله : " أنها أعظم مدن المغرب وسجل اعجابه بعمارة مبانيها وحسن أسواقها ورواج تجارتها ويسار أهلها "[١٤٥] .

والقيروان إحدى المدن الإسلامية التى مثلت مركزا حضاريا هاما فى الدولة الإسلامية ، حيث أسهمت بنصيب موفور فى نشر الإسلام فى أفريقيا ، ومنها انتقل إلى أوربا ، وكانت القيروان خلال العصر الأموى قاعدة حضارية واستراتيجية هامة[١٤٦] حتى أن الأمويين خشوا نفوذ أهلها وكذلك خشوا نفوذ عقبة بن نافع بها مما جعل مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر من قبل معاوية - وكان قد استعمله أيضا على أفريقيا - يقوم بعزل عقبة ، واستعمل على أفريقيا مولى له يقال له "أبو المهاجر" الذى قدم أفريقية وأساء عزل عقبة ، واستخف به ، وسار عقبة إلى الشام وعاتب معاوية على ما فعله أبو المهاجر دينار ، فاعتذر له معاوية ووعده باعادته إلى عمله إلا أن معاوية توفى ، وولى بعده ابنه يزيد ، فاستعمل عقبة بن نافع على أفريقيا سنة ٦٢هـ/٦٨١م[١٤٧] .

ولما أعيد عقبة إلى ولايته فى أفريقيا بعد أن أكرمه يزيد قيل أيضا أن مسلمة بن مخلد اعتذر عما صدر من أبى المهاجر دينار ، وانتقم من أبى المهاجر وقبض عليه، وأوثقه فى الحديد وصادر أمواله[١٤٨] .

هذا وقد عانت القيروان الإهمال أثناء ولاية أبو المهاجر دينار فقد تم إخلاءها من العسكر ، وانتقلت الإدارة والحكومة إلى المدينة الجديدة التى اختطها أبو المهاجر على بعد ميلين من القيروان ، وأمر الناس بالتحول عن القيروان ، بل أمعن فى الإساءة إلى مدينة القيروان وأمر الناس بإحراقها[١٤٩] .

ثم عاد للقيروان مكانتها بعودة عقبة فقام بتجديد مبانيها وترميم ما احتاج إلى ترميم ، وأمر الناس بالعودة إلى الحياة فيها فرجعت تمارس أنشطتها الفكرية والاجتماعية ، وتجدد الرباط وأحيا الجهاد[١٥٠] .

ويذكر اليعقوبى أن مدينة القيروان كان عليها سور من لبن وطين ، فهدمه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، ويذكر أن شربهم من ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المؤاجل ، فمنها شرب السقاه ، ولهم واد يسمى وادى السراويل فى الناحية القبلية من المدينة ، يأتى فيه ماء مالح لأنه فى سباخ الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه[١٥١] .

ولما قتل عقبة على يد البربر ومعه أبى المهاجر دينار انسحبت الجيوش الإسلامية من القيروان إلى برقة إلا أن سلطان الإسلام استمر وعادت القيروان مرة أخرى إلى المسلمين على يد زهير بن قيس لتواصل القيام بدورها الحضارى والفكرى الذى ارتبط باسمها منذ نشأتها فى القرن الأول الهجرى[١٥٢] .

٦. مدينة واسط ٨٣-٨٦هـ / ٧٠٢-٧٠٥م

يذكر أنها سميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منها خمسين فرسخا ويذكر أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب ، فلما عمر الحجاج مدينته سماها واسط باسمها ، وقد شرع الحجاج في عمارة واسط سنة ٨٤هـ وكانت عمارتها في عامين ففرغ منها سنه ٨٦هـ في العام الذي مات فيه عبد الملك بن مروان [١٥٣] ، وتقع مدينة واسط اليوم إلى الجنوب الشرقي من بلدة الحي في محافظة واسط على بعد ١٥كم ، وتدعى بين سكان المنطقة

بالمنارة نسبة إلى بقايا إحدى المنارتين اللتين تحيطان بمدخل فخم من الناحية المعمارية والزخرفية ، ومن المرجح كما يذكر د.عيسى سلمان أنه مدخل المدرسة الشرابية أو الأقبالية التي شيدها شرف الدين أقبال الشرابي ببغداد في عام ٦٢٨هـ/١٢٣٠م ، وهي المدرسة التي أشرف على عمارتها شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله [١٥٤] .

وكان الحجاج بن يوسف قد رغب في بناء مدينة جديدة ، تسهل عليه إدارة العراق بعد أن أحس أنه من الصعب عليه الاستمرار في حكم العراق ، فأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يستأذن في عمارتها ، فأذن له الخليفة بذلك ، قال الطبري في أحداث سنة ٨٣هـ /٧٠٢م وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطا[١٥٥]

وقال ابن تغرى بردى فيما يتعلق بالاسم عند ذكره السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهي سنة ٧٨هـ " وفيها فرغ الحجاج بن يوسف ، وانما سميت واسط لأنها بين الكوفة والبصرة ، منها إلى الكوفة خمسون فرسخا وإلى البصرة كذلك"[١٥٦] .

وقد ذكر د. عيسى سلمان [١٥٧] أن هجر وخراب هذه المدينة الهامة يرجع إلى عامل رئيسي يتمثل في تغيير مجرى نهر دجلة ، وقد تم أختيار موقع واسط بعناية بالغة فهي عبارة عن بقعة مرتفعة عن مستوى سطح النهر ، هواؤها عذب ، وطعامها سائغ على دجلة ، وهي تتوسط العراق أو المدن الهامة فيه مثل البصرة ، والكوفة والمدائن لذلك عرفت بواسط [١٥٨]

هذا وقد اختلفت الآراء من قبل المؤرخين والجغرافيين حول تاريخ الابتداء في إنشاء مدينة واسط حيث ذكر أن الابتداء كان في عام ٧٨هـ/٦٩٧م ، وذكر أن الابتداء كان في عام ٨٣هـ/٧٠٢م ، وأن الفراغ كان في عام ٨٦هـ/٧٠٥م، ويرجح د٠عيسى سلمان أن التاريخ الثاني هو الصحيح ، وهو التاريخ الذي تقدم ذكره عند ذكر نص الطبري ، ثم أن ابن الأثير ذكر في أحداث سنة٨٣ هـ/٧٠٢م ما نصه" وفي هذه السنة بني الحجاج واسطا"[١٥٩]

وعلى الرغم من أن تخطيط واسط يعد استمرارا لتخطيط البصرة والكوفة إلا أن تخطيط واسط يمثل مرحلة أكثر تطورا نتيجة تغير الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية للدولة العربية الإسلامية ، لذا فإن هذا التطور يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة هذه الفترة من تاريخ المجتمع العربي الإسلامي[١٦٠].

أمر الحجاج بن يوسف بتشديد دار الإمارة أو القصر والمسجد الجامع في قلب المدينة وترك حولها فاصلا يفصلها عن الأسواق والدور والخطط ، وأمر أن يشغل القصر مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٤٠٠ذراع ، وأن يكون هذا القصر ملاصقا للمسجد الجامع الذي جاء أيضا من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٢٠٠ذراع ، كما أمر أن يكون القصر بمثابة مركز المدينة أي يتوسطها تماما بحيث تؤدي إليه أو تتقاطع عنده الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة ، وجعل خطط الناس بين هذه الشوارع الرئيسية [١٦١] .

وقد أفرد الحجاج الخطط لأصحاب المهن كل على حسب مهنته ، وأفرد خطط أهل الشام وأهل البصرة والكوفة ، وجعل الأسواق تفصل بين الخطط وقلب

المدينة ، أما فيما يتعلق باستخدامات المدينة الحربية ، فقد ذكر أن الحجاج حصن المدينة بسورين وخندق ، وذكر أن أحاطها بسور وخندقين ، وأمر أيضا أن تقام الأبواب الحديدية في مداخل المدينة ، وأن تغلق ليلا لكي لا يسمح لغير أهلها المبيت فيها، ويضيف د٠عيسى سلمان أن بناء المدينة كلف الحجاج خراج العراق لمدة خمس سنوات[١٦٢]٠

ونلمس التطور الذي طرأ على تخطيط وعمارة مدينة واسط مقارنة بتخطيط وعمارة البصرة والكوفة في زيادة سعة دار الأمارة أو القصر على سعة المسجد الجامع، وجعلها تمثل مركز المدينة بعد أن كان المسجد الجامع يمثل هذا المركز في مدينتي البصرة والكوفة ، وقد صارت دار الأمارة تعرف بقصر الحجاج ، وعرفت بقبتها الخضراء التي كانت ترى من مسافات بعيدة٠

ويرجح د.عيسى سلمان أن الحجاج بن يوسف قد تأثر بشكل مباشر في تحديد سعة القصر بما كان في دار الأمارة بالكوفة في العصر الأموي ، حيث وسعت الدار وصار طول ضلع سورها الخارجي ١٧٦ مترا ، بينما كان طول ضلع المسجد ١٠٣ مترا ، ويعكس هذا التوسع ازدياد عدد أفراد الجهاز الإداري ، وتنوع المهام حيث جعلت دار السك ضمن قصر الحجاج[١٦٣]٠

كما يمكن أن نلمس التطور في خطط المدينة ، حيث جاءت غير قبائلية ، بل مهنية وإقليمية تختلف عن خطط البصرة والكوفة ،ويمتد هذا التطور إلى التخطيط أيضا فقد قسمت واسط إلى أربعة أرباع تفصلها شوارع مستقيمة تنتهي في مركز المدينة ، أما في مدينتي البصرة والكوفة فقد كانت الشوارع الرئيسية بعدد خطط

القبائل تقريبا ، كذلك من مظاهر التطور أيضا تحصين المدينة بسوريين وخندق أو بخندقين وسور ، وهي الاستحكامات الحربية التي خلت منها البصرة والكوفة لأنهما كانتا مراكز انطلاق بالدرجة الأولى ، أما واسط فصارت مركزا إداريا ، حيث استقرت مبادئ الدين الجديد في البلاد ، كذلك اختيار الموقع ، حيث لم يراع فيه قضية المانع الطبيعي بين المدينة الجديدة ، وحاضرة العالم العربي الإسلامي[١٦٤].

المسجد الجامع بواسط:

يشغل مساحة مربعة أبعادها ١٠٣,٥X١٠٤,٥ م وشيد البناء بالطابوق والجص وسمك الجدار ٢٠٥م تقريبا وكانت سقوفه ترتكز على أعمدة أسطوانية من حجر رملي وتتميز الأعمدة بزخارفها النباتية والهندسية المحفورة عليها وكان تخطيط المسجد في عهد الحجاج بن يوسف من صحن مستطيل وأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة[١٦٥] ، وكان الدخول إليه يتم من أحد عشر بابا جدد هذا الجامع سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م بدون إحداث زيادة بغرض تصحيح قبلته حيث كانت منحرفة بمقدار ٣٤درجة عن الخط القبلى الصحيح ، ثم هدم المسجد مرة أخرى في عام ٥٥٠هـ/١١٥٥م وأعيدت عمارته على نفس المساحة وبنفس التخطيط[١٦٦]

القصر:

اهتم الحجاج بن يوسف الثقفي اهتماما خاصا بدار الأمارة التي كانت تعرف بقصر الحجاج فجعلها تمثل قلب المدينة بحيث تؤدي إليها أو تتقاطع عندها الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة ، وجاءت هذه الدار

في مساحتها ضعف مساحة المسجد الجامع ، وذكر أنه أسند تخطيط وعمارة القصر إلى أثنين من المهندسين هما القاسم بن أنبار وأبو شعيب ابن الحجاج وكان طول ضلع الدار حوالي ٢٠٠م وأنها مربعة الشكل وكانت مشيدة بالطابوق والجص مثل المسجد الجامع [١٦٧]

أشتهر قصر الحجاج بقبته العالية الخضراء وكانت تشاهد من مسافات بعيدة وتشتمل الدار على حديقة واسعة وبركة ماء ، وكان يتوصل إليها من خلال أربعة أبواب يؤدي كل منها إلى طريق عرضه ثمانون ذراعا وهي الطرق الرئيسية التي تخترق خطط المدينة ، فيكون القصر قلب المدينة [١٦٨]

وأنفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم.

٧. قرطبة :[١٦٩]

تعتبر مدينة قرطبة من أقدم المدن فى شبة الجزيرة الأيبيرية ، وكانت تعرف باسم كوربا (Carduba) وقد حظيت بقسط وافر من الشهرة فى العصور القديمة ، فيذكر القرى أن بناءها كان قبل ميلاد المسيح بثمان وثلاثين سنة[١٧٠] ونالت قرطبة عناية فائقة من حكام المسلمين بالأندلس .

اتخذ الفاتحون المسلمون للأندلس من قرطبة دارا للإمارة منذ سنة ٩٧هـ/٧١٢م ، واهتم بها ولاة الأندلس كما اهتم بها الخلفاء الأمويون فى الشام ، فعلى سبيل المثال أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ببناء جسر قرطبة الشهير على نهر الأعظم بالمدينة ذلك الجسر لم يعرف فى الدنيا مثله[١٧١] .

وكانت ولاية عبد الرحمن الداخل للأندلس نقطة تحول فى تاريخ قرطبة ، فقد أولاها عناية واهتماما كبيرا حتى أصبحت قرطبة مركزا من أهم مراكز الإشعاع الحضارى فى أوربا ، وتمتعت فى ظل بنى أمية بمكانه مرموقة فى الحياة الفكرية[١٧٢] .

وقرطبة مدينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ورحاب فسيحة ولها بابان يشرعان فى سور المدينة إلى الطريق الآخذ على الوادى من الرصافة – مساكن أعالى ربضها – وابنيتها متشابكة مستديرة على البلد من شرقه وشماله وغربه ، والأسواق والبيوع والخانات والحمامات ومساكن العامة بربضها بجانبها ومسجد جامعها جليل عظيم والحبس منه قريب ، وقرطبة بائنة بذاتها عن مساكن أرباضها – أحياءها – وهى مستديرة حصينة وسورها من حجر ، ولقرطبة سبعة أبواب حديد، وهى فخمة واسعة[١٧٣] .

وقد ذكر أن مساحتها التى تدار حولها السور تبلغ ألف وستمائة ذراع ، واتصلت العمارة بها أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا ، وذلك من الأميال أربعة وعشرون فى الطول وستة أميال فى العرض ، وهذه المساحة عبارة عن ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادى الكبير[١٧٤] .

ووصف العلماء قرطبة فقالوا : هى مدينة أزلية من بنيان الأوائل ، طيبة الماء والهواء ، أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب ، وهى المحرث العظيم الذى ليس له فى بلاد الأندلس نظر ولا أعظم من بركة[١٧٥] .

ويذكر عن أرباض - أحياء - قرطبة أنها كانت عديدة وهى عبارة عن محلات سكنية متكاملة ، بنيت لها أسوار خاصة بها ، كانت تربطها بأسوار المدينة الأصل ، فتحت لها الأبواب التى تيسر الاتصال بين المدينة وأرباضها المختلفة ، واشتمل كل ربض على التكوينات المعمارية التى تستلزمها حياة سكنية[١٧٦] .

ومثال لهذه الأرباض هى : ربض شقنده - ربض حوانيت الريحان ، ربض مسجد الكهف ، ربض مسجد الروضة ، ربض باب اليهود - ربض الرصافة ، ربض البرج ، ربض الزهراء ، ربض المدينة العتيقة[١٧٧] .

ومن قصورها المشهورة : الكامل والمجدد والحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك ، والرستيق وقصر المسرور والتاج والبديع[١٧٨] .

أما قصر الخلافة فقد وصف بأنه "أول تداوله ملوك الأمم من عهد موسى النبى عليه السلام ، وفيه من المبانى الأولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والأمم السالفة ما يعجز عنه الوصف ، ثم ابتدع الخلفاء من بنى مروان فى قصرها البدائع الحسان ، وأثروا فيها الآثار العجيبة والرياض الأنيقة ، وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المساحات البعيدة ، تمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها إلى القصر الكريم وأجروها فى كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص تؤديها إلى المصانع - الخزانات - صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج العذبة فى أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة[١٧٩] .

عاشت قرطبة منارة للعلم والفكر الإسلامى أسهم العديد من علماؤها فى كثير من مجالات العلم والفكر، ومن خلالهم انتقلت العلوم إلى أوربا، وظلت تقوم بهذا الدور الحضارى العظيم إلى أن إنهارت الخلافة وقامت على أنقاضها ممالك الطوائف، وكانت نكسة عنيفة لوحدة الأندلس، واندثرت قرطبة باسترداد المسيحيين لبلاد الأندلس، وحين دخلوا حاضرة الخلافة الإسلامية وحولوا مسجدها الجامع الكبير إلى كنيسة ما يزال تحمل اسمه فتعرف بكنيسة الجامع[١٨٠].

٨. **العسكر (١٣٣هـ/ ٧٥٠م):**

بعد هزيمة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وقتله فى بوصير أصبحت الخلافة خالصة لبنى العباس، عندئذ أمر صالح بن على الذى قاد الجيش العباسى فى هذا الصدام بالبناء، فبنوا العسكر فى المكان المعروف بالحمراء القصوى، الواقعة شمال شرقى الفسطاط والتى كان يسكنها الروم الذين قدموا مع عمرو بن العاص.

وكانت خطة بنى الأزرق وبنى روبيل وبنى يشكر وبنى جزيلة، ثم اندثرت هذه الخطط حتى صارت صحراء جرداء [١٨١]، وكان حد هذه المدينة من الجنوب عند كوم الجارح ومن الشمال قناطر السباع أمام المشهد الزينبى، ومن الغرب قناطر السد[١٨٢].

وقد أنشئت العسكر اما لرغبة العباسيين فى أن يتخذوا لأنفسهم مقرا لم يسبق إليه غيرهم، واما لأن مروان بن محمد كان قد أحرق جانبا كبيرا من

الفسطاط[١٨٣]، وأسست هذه المدينة أصلا لإيواء العسكر العباسى فسميت بالعسكر[١٨٤]

شيد الصالح بن على بالعسكر دار للإمارة ، ظل ينزلها الولاة العباسيون وكان بعضهم يسكن الفسطاط إلى جانب العسكر[١٨٥] .

وبعد تأسيس العسكر بقليل ورد كتاب أبى جعفر المنصور على يزيد بن حاتم والى مصر سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط[١٨٦] كذلك شيد بها الفضل بن صالح بن على مسجدا جامعا سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م ، وتم تجديد المسجد الجامع بالعسكر فى عهد والى مصر عبد الله بن طاهر ولم يكتب له البقاء طويلا حيث إندثر وعرف بجامع العسكر[١٨٧] .

والعسكر ثانى عواصم مصر الإسلامية ، وأصبحت مقرا لشرطة خاصة غير شرطة الفسطاط ، عرفت بالشرطة العليا باعتبارها تقع شمالا ، فى حين كان يطلق على شرطة الفسطاط اسم الشرطة السفلى لأنها كانت تقع جنوبا بل أن صاحب الشرطة السفلى فى الفسطاط كان أعظم شأنا وأكثر اختصاصا من نظيرة فى العسكر باعتباره حاكم القسم الرئيسى الأصيل فى الحاضرة[١٨٨] .

ولما قدم أحمد بن طولون إلى مصر سكن العسكر مدة ثم تحول عنها إلى مدينة القطائع ، وخلال عهده بنى بها مارستانه بالقرب من بركة قارون[١٨٩] .

وأنفق على بنائه ستين ألف دينار ، وأخذ الجزء الأكبر منه من الكنز الذى عثر عليه فى تنور فرعون ، وأوقف عليه عدة أماكن لضمان استمراره ، وشرط ألا يعالج فيه جندى مملوك ، كما شرط أنه إذا جئ بالعليل تنزع ثيابه ، ويودع ما معه من

المال عند أمين البيمارستان وتقدم له ثياب خاصة من البيمارستان ، ويخصص له الدواء مجانا حتى يتم شفاءه[١٩٠] .

وكان أحمد بن طولون حريصا على تفقد البيمارستان وزيارته يوم الجمعة من كل أسبوع ، حيث يطوف على خزائن الأدوية ويتفقد أعمال الأطباء ويشرف على سائر المرضى من المجانين حتى غافلة فى يوم أحدهم ورماه برمانه عريشية كبيرة كادت تقضى عليه ، فلم يعاود النظر فى البيمارستان بعد ذلك[١٩١] .

وفى عهد خمارويه تحولت المدينة إلى ديوان للخراج ، ولما زالت دولة بنى طولون وخربت القطائع عاد ولاة مصر ينزلون بدار الإمارة بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر الصقلى من المغرب وبنى القاهرة المعزية سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م ، فتحول مركز الحكم إليها[١٩٢] .

وكان من أهم الدور التى بنيت بالعسكر بجانب دار الإمارة:

دار كافور الأخشيدى : يذكر المقريزى أنه بناها بالعسكر على بركة قارون ، وقد أنفق عليها مائة ألف دينار ، وسكنها سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع فى غلمانه من بخار البركة[١٩٣] .

قبة الهواء : وهى دار شيدها حاتم بن هرثمة والى مصر (١٩٤-١٩٥هـ/٨٠٩-٨١٠م) من قبل الخليفة العباسى الأمين - على جبل المقطم ، وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين ، وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء[١٩٤] .

٩. بغداد ١٤٥هـ /٧٦٢م:

بغداد[١٩٥] هى دار السلام ، وأزهى مدن الزمان بناها الخليفة أبو جعفر المنصور لتكون مقر حكمه وعاصمة ملكة ، ومعقل جنده ومأمن أهله وخاصته ، وذلك لأن العباسيين حالفوا خراسان فى أول الأمر ، لكنهم لم يجعلوا مقرهم فيه ، فابتعدوا عن القطر الذى قوى شأنهم وعضد أمرهم ، ثم أنهم لم يستقروا فى الكوفة، لأنهم لا يأمنون أهل الكوفة حيث كانوا قد أفسدوا الجند العباسيين[١٩٦] .

وكان السفاح قد بنى مدينة قرب الأتبار وسماها الهاشمية ، فلما كان زمن أبى جعفر المنصور ووقعت واقعة الراوندية فيها كره المنصور سكناها لذلك وأيضا لمجاورة أهل الكوفة[١٩٧] .

لم ترق الهاشمية لهم أيضا فأخذ أبو جعفر المنصور يبحث عن مكان يبنى فيه مدينة جديدة تكون مقر حكمه وعاصمة ملكه ، وسار حتى أتى الموصل ، ثم أرسل جماعة من الحكماء ، وذوى اللب والعقل ، وأمرهم بارتياد موضع ، فاختاروا له موضع يصلح أن يكون عاصمة للدولة العباسية فذهب إلى هناك واعتبر المكان ليلا ونهارا ما ستطابه وبنى به مدينته[١٩٨] .

وتروى المصادر أهمية المكان الذى وقع عليه الاختيار لبناء بغداد ، حيث نبهه بعض العقلاء النصارى على فضيلة مكانها فقال : "يا أمير المؤمنين تكون المدينة على الصراه بين دجلة مع الفرات فإن حاربك أحد كانت دجلة والفرات خنادق لمدينتك ، ثم أن الميرة تأتيك فى دجلة من ديار بكر تارة ، ومن البحر والهند والصين والبصرة تارة أخرى ، وفى الفرات من الرقة والشام وتجيك الميرة أيضا من خراسان

وبلاد العجم فى شط تامرا ، وأنت يا أمير المؤمنين بين أنهار لا يصل عدوك إليك إلا على جسرا أو قنطرة ، فإذا قطعت الجسر أو خربت القنطرة لم يصل إليك عدوك ، وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسود ، وأنت قريب من البر والبحر والجبل[١٩٩] .

هذا من حيث موقع المدينة أما من حيث مخططها ففيه يتجلى ذكاء كبير ، حيث جاء تخطيط بغداد مما استحدث فى تخطيط المدن الإسلامية ، فقد جعلها أبو جعفر المنصور مدوره ، وأقام بمركزها قصر الخلافة ، وإلى جانبه الجامع الذى سمى بجامع المنصور[٢٠٠] .

وضع المنصور بيده أول لبنه وقال : "بسم الله والحمد لله ، الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين" ثم قال ابنوا واستغرق بناء المدينة عاما كاملا ، فابتدأ بها فى سنة خمس وأربعين ومائة ، وتمها فى سنة ست وأربعين ومائة ، وجعل لها أربعة أبواب هى باب خراسان ، وباب الشام ، وباب الكوفة ، وباب البصرة[٢٠١]

جعل المنصور بين كل باب من أبوابها والباب الآخر ميل ، وبجانب كل باب أبنية كبيرة لإقامة الفرق العسكرية ، والأبواب الأربعة تقضى جميعا إلى الساحة الواقعة فى المركز[٢٠٢] عند قصر الخلافة ، حيث كان الخليفة يستطيع أن يراقب هذه الشوارع جميعا من قصره وأن يعرف ما يجرى فيها ، وقد بنى المنصور فيها الخضراء فوق ايوان ، وكان ارتفاعها ثمانين ذراعا ، وهى تاج بغداد ومأثره من مآثر بنى العباس ، ويذكر ابن طبطبا أن تكاليف بناء المدينة بلغت أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثين درهما[٢٠٣] .

اهتم المنصور عند تخطيط بغداد بالمرافق الهامة وخاصة الأسواق حيث عمل على توفيرها فى كل ربض من أرباض المدينة ، وذكر اليعقوبى أنه حدد لكل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الأذرع ولمن معه من أصحابه وما قدره الحوانيت والأسواق فى كل ربض ، وأمرهم أن يوسعوا فى الحوانيت ، ليكون فى كل ربض سوق جامعة ، تجمع التجارات[٢٠٤] .

وحدد لهم المنصور أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا بالسوداء ، والدروب ست عشره ذراعا ، وأن يبتنوا فى جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها من فى كل ناحية ومحله[٢٠٥] .

وعمرت المدينة وازدحمت بالناس ومن ثم اقطع الخليفة قواده وعماله القطائع خارج أسوار بغداد ، حيث رأى المنصور أن ينقل التجار خارجها محافظة على أمنها ونظافتها وتوفير الهدوء فيها ، وأنشأ " الكرخ" ليضم التجار جميعا ، وكان تخطيطه مثالا جيدا يعكس المستوى الذى وصل إليه تخطيط الأسواق حيث حدد لكل أهل تجارة مكانها ، وفصل بين أهل التجارات والحرف فخصص لكل حرفة أيضا منطقة خاصة بها[٢٠٦] ونتيجة لازدحام بغداد أمر المنصور ببناء الرصافة وجعلها ثكنات للجيش[٢٠٧] .

وكانت بغداد جنة الدنيا ، ومدينة السلام ، وقبة السلام ، ودار الخلافة ، ومجمع الرافدين ، وعزة البلاد/ومعدن الظرائف واللطائف والمحاسن والطيبات ، ولها أرباب الغايات فى كل فمن ، وآحاد الدهر فى كل نوع[٢٠٨] .

ويذكر اليعقوبى أنها ليست كالشام الوبيئة الهواء الضيقة المنازل ، الحزنة الأرض ، المتصلة الطواعين الجافة الأهل ، ولا كمصر المتغيرة الهواء ، الكثيرة الوباء التى أنما هى بين بحر رطب عفن ، وبين جبل اليابس ، ولا كأفريقيا البعيدة عن جزيرة الإسلام ، وعن بيت الله الحرام ، الجافية الأهل الكثيرة العدد ، ولا كأرمينية النائية ، الباردة ، الصردة الحزنة ، ولا مثل كور الجبل الحزنة ، الخشنة المثلجة ، ولا كأرض خراسان الطاعنة فى مشرق الشمس ، ولا كالحجاز النكدة المعاش ، الضيقة المكسب ، التى قوت أهلها من غيرها . ولهذا كانت بغداد أفضل البلدان ، ولذا نزلها الناس وسكنوها[٢٠٩] .

هذا وقد اهتم خلفاء بنى العباس ببغداد اهتمام بالغا ، وازدهرت العاصمة العباسية وكانت من أعظم حوادر العالم ، كما كانت منارة للعلم والمعرفة ، ومركزا للفكر والثقافة امتدت إشعاعاته الحضارية لتضئ الدنيا ، ولا سيما النهضة العلمية والفكرية التى شهدتها المدينة خلال عصر المأمون ، فقد استطاع علماء بغداد وأساتذتها نقل الكثير من العلوم الإنسانية القديمة[٢١٠] .

١٠. القطائع ٢٥٦هـ / ٨٦٩م :

أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م فى المنطقة الواقعة بين جبل يشكر حد الفسطاط الشمالى ، وبين سطح المقطم ، وكان هذا الموقع يعرف بقبة الهواء[٢١١] ، وذلك بعد أن استمر بدار الإمارة التى بالعسكر فترة حتى كثرت عساكره وعبيده ، وضاقت بهم المدينة ، فحرت قبور اليهود والنصارى التى فى سطح جبل يشكر ، وبنى مدينة شرقى مدينة الفسطاط[٢١٢] ، وسماها "القطائع"

لتكون مركزا لحكمة وقصرا لجنده وحاشية الذين اقتسموها ، وسميت كل قطعية باسم من سكنها ، سواء من تجمعهم رابطة الجنسية ، أو رابطة العمل فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم ، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم ، وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم ، ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم[٢١٣].

كما جعل ابن طولون قطائع خاصة للحرف والتجارات ، مثل سوق الطباخين وسوق الصيادين ، وسوق الصيارفة والخبازين ، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقا حسنا وأمر غلمانه أن يختطوا به[٢١٤] .

وكان تأسيس ابن طولون لهذه المدينة مرتبطا بضرورة ابعاد جيش غير المتجانس عن الأحياء العربية المصرية ، وتجنب ما يمكن حدوثه من الشغب بسبب اختلاط جنده بالتجار وغيرهم من عامة الشعب ، على نحو ما حدث لجند الخليفة المعتصم بالله فى بغداد ، وكان سببا فى إنشاء مدينة سامراء[٢١٥] .

وكانت مساحة القطائع ميلا مربعا وشيد بها ابن طولون مسجده المعروف على جبل يشكر ويذكر أن الإنتهاء من المسجد كان فى سنة ٢٦٥هـ /٨٧٩م كما يتضح من بقايا اللوحة التأسيسة التى بداخلة وهى لوحة مثبتة على إحدى دعامات المسجد ومنقوشة بالخط الكوفى جاء فيها " أمر الأمير أبو العباس أحمد ابن طولون ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء عليه وطيبة لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين (مايو ٨٧٩م)[٢١٦] .

ويعد جامع ابن طولون من أكبر جوامع مصر الإسلامية مساحة إذ يغطى مع الزيادات التى تحيط به من الشمال والجنوب والغرب ما يقرب من ستة أفدنة ونصف تأخذ شكلا مربعا حوالى ١٣٨ × ١١٨م على حين ترتفع الجدران من منسوب أرضية الأروقة الداخلية إلى قمة شرفاته العليا إلى ما يقرب من ثلاثة عشر مترا[٢١٧]

زود المسجد بإثنين وأربعين بابا ، وزعت توزيعا متناسبا على طول اكتداد وجهات المسجد وعلى جدران الزيادات التى تحف به من ثلاث جهات ، ولعل السبب فى كثرة هذه الأبواب يرجع إلى الرغبة فى تسهيل عملية الدخول والخروج من المسجد نظرا لاتساع رقعته[٢١٨] ، أو لكثرة المساكن والأسواق التى كانت مشيدة حول ساحته الخارجية[٢١٩] .

وتتميز منارته التى شيدت من الحجر خارج المسجد بأنها الوحيدة فى مصر ذات السلم الخارجى وهى تتألف من قاعدة مربعة التخطيط تعلوها منطقة اسطوانية وفوقها مثمن علوى يحمل مثمن آخر أصغر منه ويتوجه قبة صغيرة مضلعة تعرف فى المصطلح المعمارى المحلى باسم المبخرة يبلغ ارتفاع قامتها عن أرضية عن أربعين مترا[٢٢٠] ، ويصعد إليها عن طريق سلم خارجى يرتقى فى عكس اتجاه عقارب الساعة كما يربطها بسطح المسجد الجامع قنطرة حجرية ترتكز على عقدين على شكل حدوة الفرس[٢٢١] .

كانت القطائع أول مدينة بمعنى الكلمة أنشئت بوادى النيل فى العصر الإسلامى ولم يقض إنشاء القطائع على العسكر أو الفسطاط فلم تكن كل من القطائع والعسكر إلا ضاحيتين للفسطاط أو امتداد لها[٢٢٢] .

وقد عمرت القطائع عمارة حسنة كما يقول البلوى وتفرقت فيها السكك والأزقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران وسميت أسواقها كما ذكرنا ، فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن[٢٢٣] .

وكانت أهم الدور التى بنيت فى القطائع فى الدولة الطولونية الآتى :

- **قصر أحمد بن طولون :** بنى أحمد بن طولون قصره ووسعه وحسنه وألحق به ميدانا فسيحا يضرب فيه بالصوالجة[٢٢٤] فسمى القصر كله بالميدان ، وكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير ذا سئل عن ذهابه يقول إلى الميدان ، وقد عمل ابن طولون للميدان تسعة أبواب لكل باب اسم خاص به مثل :

- **باب الميدان** : ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش .
- **باب الصوالجة.**
- **باب الخاصة** : لا يدخل منه إلا خاصته .
- **باب الجبل** : كان يلى جبل المقطم .
- **باب الحرم** : لا يدخل منه إلا خادم خاص أو حرمه .
- **باب الدرمون** : نسبة إلى أحد الحجاب .
- **باب دعناج** : نسبة إلى حاجب كان يسمى دعناج .
- **باب الساج** : عرف بذلك لأنه كان مصنوعا من خشب الساج .
- **باب الصلاة** : فى الشارع الأعظم ويعرف أيضا بباب السباع لأنه صور عليه سبعان من جبس ، كما كان يعلوه مجلس يشرف منه ابن طولون فى ليلة العيد

على القطائع ليرى أفراد جيشه وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم ، وكان يشرف منه على النيل أيضا[٢٢٥] .

ولم تكن هذه الأبواب تفتح كلها إلا فى أيام الأعياد أو يوم عرض الجيش أو يوم الصدقة[٢٢٦] أما باقى الأيام فإن هذه الأبواب كانت تفتح فى وقت محدد وتغلق فى وقت محدد أيضا ، وقد زاد خمارويه فى هذا القصر الذى بناه أبوه ووسع فيه إلى أبعد الحدود ، وأضاف إليه قصرا جديدا خصصه لزوجات أبيه وأفرد لكل واحدة منهن جناحا خاصا[٢٢٧] .

القبة : بناها خمارويه وهى عبارة عن قبة تضاهى قبة الهواء ، وجعل لها الستور التى تقى الحر والبرد ، فتسدل إذا شاء وترفع إذا أحب ، وفرش أرضها بالفرش وعمل لكل فصل فرشا يليق به ، وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى قصره من البساتين والصحراء والنيل والجبل والمدينة[٢٢٨] .

بيت الذهب : بنى فى زمن خمارويه وكان عبارة عن مجلسا داخل داره سمى بيت الذهب لأن جدرانه طليت بالذهب واللازورد ، وجعل فيه قامة ونصف نقوشا بارزة من الخشب تمثل حظاياه والمغنيات نقشت ثيابهن بأصناف الجوهر ، وفى أذانهن الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا[٢٢٩] .

بركة الزئبق : أقام خمارويه أمام القصر بركة طولها خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا، ملأت بالزئبق للاسترخاء ، ليخلص مما أصابه من الأرق

وجعل عليها سرير من آدم يحشى بالهواء لينام عليه شد بخيوط من حرير إلى عمد من فضة ، كان يرى لها فى الليالى المقمرة منظرا عجيب إذا تآلف نور القمر بنور الزئبق[٢٣٠] .

وقد خربت القطائع على يد محمد بن سليمان الكاتب خلال عهد الخليفة المكتفى بالله (٢٨٩-٢٩٥هـ) حنقا على بنى طولون وذلك سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م وأبقى الجامع[٢٣١] .

١١. القاهرة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م :

ظلت مدينة الفسطاط عاصمة لمصر ، وكانت مدينة الإقليم منذ الفتح الإسلامى لمصر ، وكانت منزل الأمراء وكثر الناس بها وزادت عمارتها ، ثم لما انقضت الدولة الإخشيدية فى مصر سنة (٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٥-٩٦٩م) واختلت أحوال مصر بسبب الوباء والفناء ، وسار الجيش الفاطمى بقيادة جوهر الصقلى إلى مصر واستولى على الفسطاط من بقايا الإخشيديين، واختط مدينة القاهرة[٢٣٢].

وعدد المقريزى موضع القاهرة فيذكر : أنها كانت رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند مسيرتهم من الفسطاط إلى عين شمس وهو موقع إلى الشمال من الفسطاط ويحدها من الشرق جبل المقطم ومن الغرب خليج أمير المؤمنين[٢٣٣] .

قرر جوهر تأسيس القاهرة لتكون مدينة ملكية حصينة للخليفة وأتباعة ، كما اختط القصر الفاطمى الذى أعده ليستقبل فيه مولاه المعز لدين الله ، وكان قصر

الخليفة وسطها محصنا بأبواب محددة[٢٣٤] وبنى جوهر سورا خارجيا من اللبن على هيئة مربع طول كل ضلع من أضلاعه ١٢٠٠ متر[٢٣٥] .

وأراد جوهر أن يحصن المدينة وأن يعوق فى الوقت نفسه عامة الشعب فى كل من الفسطاط والعسكر والقطائع الوصول إلى القاهرة ، وقد كان محظورا على أى فرد اجتياز أسوار القاهرة إلا إذا كان من جند الحامية الفاطمية أو من كبار موظفى الدولة ، وكان الدخول إليها لا يتم إلا بعد الحصول على تصريح خاص[٢٣٦] وعن طريق الأبواب الثمانية جنبا إلى جنب[٢٣٧] ، وأبواب القاهرة هى اثنان من السور الشمالى هما باب الفتوح وفى شرقه باب النصر .

باب زويلة فى السور الجنوبى ، وفى الغرب منه باب الفرج .

بابا الضلع الشرقى هما باب البرقية ، وباب القراطين[٢٣٨] .

وفى الضلع الغربى كان يوجد بابان هما باب القنطرة وباب السعادة[٢٣٩] .

وكان لموقع القاهرة مميزات عديدة يأتى فى مقدمتها أن نهر النيل يحيط بضاحيتها الفسطاط من الغرب ، وأتاح ذلك لسكانها فرصة إقامة العديد من القصور على شاطئ النيل[٢٤٠] ، كما كانت محصنة بحصون طبيعية كجبل المقطم فى الجنوب الشرقى ، ونهر النيل فى الغرب ، وحصون غير طبيعية تتمثل فى الأسوار التى أقيمت حول المدينة[٢٤١] .

وبصفة عامة فقد دل موقع القاهرة على نظرة صائبة رغم اعتراض المعز لدين الله على اختيار موضعها[٢٤٢] ، فكان بعدها النسبى عن النهر يحميها من خطر

الفيضان ، ويؤكد ذلك ابن سعيد بقوله : "إن بعد القاهرة عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها "[٢٤٣] .

وقد اختط الطريق العام يخترق وسط المدينة من باب زويلة جنوبا ويتصل بمدينة الفسطاط مارا فيما بين القصرين[٢٤٤] حتى باب الفتوح ، وكان يوصل إلى الفضاء الواقع فى الشمال ، وكان الجامع الأزهر الشريف إلى الجنوب الشرقى من قصر الخليفة وقد شرع جوهر فى بنائه سنة ٣٥٩هـ /٩٧٠م ليكون المسجد الرسمى للقاهرة وذلك بعد أن وضع أساس المدينة التى حوت الحوانيت والأسواق وبلغ عددها ما لا يقل عن عشرين ألف دكان وكان بها ربط وحمامات وأبنية أخرى[٢٤٥].

وقد عرفت هذه المدينة فى أول الأمر باسم المنصورية تيمنا باسم المنصورية التى أنشأها المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين خارج مدينة القيروان بشمال أفريقيا[٢٤٦] ، ولم تعرف بالقاهرة إلا بعد أربع سنوات بعد أن حضر الخليفة المعز إلى مصر ورأى من قراءاته الخاصة للطالع أن هذه التسمية فأل حسن إذ رأى أن اسم القاهرة مشتق من القهر والظفر[٢٤٧] ، ويذكر أن سور القاهرة الذى بناه جوهر لم يعمر أكثر من ثمانين سنة ، إذ كان قد تهدم فى عصر المستنصر بالله[٢٤٨] ، فستبدل به بدر الجمالى وزير المستنصر سورا آخر ، وذلك بعد أن وسع رقعة القاهرة بمقدار ١٥٠ متر إلى شمال السور القديم[٢٤٩] ، وحوالى ثلاثين مترا إلى الشرق ومثلها إلى الجنوب[٢٥٠] ، وقد تم تشييد هذا السور فيما بين سنتى ٤٨٠-٤٨٥هـ[٢٥١] ، وبنى هذا السور من الحجر ، وبقى منه ثلاثة أبواب هامة هى : باب النصر ، وباب الفتوح ، وباب زويلة ، وأقدمها باب النصر ويعرف بباب المعز[٢٥٢] .

وبعد انتهاء الدولة الفاطمية واستيلاء صلاح الدين على مقاليد الحكم فى مصر سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م تغيرت صفة القاهرة ، فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهورية[٢٥٣] .

ومن أهم مبانى القاهرة :

القصر الكبير :

يسمى بالقصر الشرقى لأنه يقع بالقرب من سور القاهرة الشرقى وهو القصر الذى أعده جوهر لنزول الخليفة المعز ، فكان يشمل تسعة أبواب [٢٥٤] وكان يشغل مساحة تقرب من ٧٠ فدانا من جملة مساحة القاهرة التى كانت تبلغ ٣٤٠ فدانا وكان يتألف من خطط وأحياء تخترقها الطرقات والمسالك التى تفضى إلى أجزائه المختلفة فوق الأرض أو داخل السراديب المارة تحت الأرض ، وكانت تضيئه الرحبات الكبيرة غير المسقوفة ، أو الأفنية الداخلية الصغيرة[٢٥٥] .

القصر الصغير :

كان بالقاهرة عدا القصر الكبير قصر آخر إلى الغرب منه عرف بالقصر الغربى الصغير ، شيده الخليفة العزيز بالله ويشغل مكانه اليوم مستشفى قلاوون للرمد ، وكل المساكن التى تجاوره إلى شارع الخليج ، لذا عرف أيضا بقصر البحر، وكان يشرف على البستان الكافورى ويتحول إليه الخليفة من البركة التى كان يقال لها بطن البقرة أو من البستان المعروف بالفداوية ، وغيره من البساتين التى تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى[٢٥٦] ، ووصف المسبحى هذا القصر بأنه "لم يبن مثله فى شرق ولا فى غرب" .

وكان يتصل بالقصر الكبير الشرقى بواسطة سرداب تحت الأرض كان ينزل منه الخليفة ممتطيا ظهر بغلته ، تحيط به فتيات القصر ، وكان بين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير ميدان فسيح كانت تقام فيه حفلات عرض الجيش ، حيث يقف فيه عشرة آلاف من العساكر بين فارس وراجل ، اشتهر فيما بعد باسم بين القصرين ، كما كان هناك ميدان آخر بجوار القصر الغربى يجاور البستان الكافورى المطل على الخليج[٢٥٧] .

الجامع الأزهر:

أقام جوهر الصقلى الأزهر إلى الجنوب الشرقى داخل القاهرة وعلى مقربة من القصر الشرقى الكبير فيما بين حى الديلم فى الشمال وحى الترك فى الجنوب ، ليكون المسجد الرسمى لمدينة القاهرة ، وقد بدأ فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ / ١٤ ابريل ٩٧٠م ، وانتهى العمل منه وأقيمت أول جمعة فيه فى السابع من رمضان سنة ٣٦١هـ / ٢٢ يونيو ٩٧٢م ، وسمى بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء ، بنت الرسول ﷺ كما سمى بذلك أيضا نسبة إلى اللون الأبيض المزهر الذى تليت به جدرانه ، وكتب على دائر القبلة على يمين المحراب ما نصه : "بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة"[٢٥٨] .

وكان هذا المسجد وقت إنشائه يشغل مساحة مستطيل تبلغ مقاييسها الخارجية ٨٥ متر طولا و ٧٠ متر عرضا ويتألف من صحن أوسط مكشوف ومستطيل

الشكل طوله ٥٩ متر وعرضه ٤٣ متر ، وكان الجامع مزود وقت بنائه بثلاث مداخل فى جدرانه الشمالية والجنوبية والغربية[٢٥٩] .

حظى الجامع الأزهر بعناية الفواطم وغيرهم حيث عنى بإصلاحه الخليفة العزيز بالله ، وعنى بأمر الحاكم بأمر الله الذى جدد مأذنه سنة ٤٠٠هـ /١٠٠١م، كذلك جدد الخليفة المستنصر بالله المسجد أثناء خلافته (٤٢٧-٤٨٧هـ) ، وجدد الخليفة الآمر بأحكام الله محراب الجامع سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م[٢٦٠] .

وجدد الخليفة الحافظ لدين الله الجامع الأزهر ٥٢٤-٥٤٤هـ حيث أضاف إليه بعض الإضافات فى الأروقة والصحن[٢٦١] .

وبسقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م أفل نجم الجامع الأزهر حيث بطلت فيه صلاة الجمعة بأمر صلاح الدين الأيوبى واستمر على ذلك حتى عهد الظاهر بيبرس الذى أذن للأمير أيدمر سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م بإعمار الجامع الأزهر فأعاد ترميمه وأقيمت صلاة الجمعة فى نفس السنة بعد أن عطلت لمدة قرن من الزمان[٢٦٢] .

وفى عهد الناصر محمد ابن قلاوون جدد الجامع الأزهر على أثر الزلزال الذى أصابه سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م ، وفى سنة ٤٢٥هـ / ١٣٤٠م أضاف إليه الأمير علاء الدين أقبغا استادار السلطان الناصر محمد بن قلاوون مدرسة عرفت باسم المدرسة الأقبغاوية ، وجدد عمارة الجامع أيضا سنة ٧٦١هـ / ١٣٥٩م على يد الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى حيث أنشأ على باب الجامع القبلى سبيلا وكتابا[٢٦٣]

وفى عهد السلطان برقوق جدد الجامع الأزهر سنة ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م وفى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م قام السلطان الأشرف قايتباى بهدم الباب الغربى للجامع وأقيمت فوقه المنارة[٢٦٤] .

كذلك بعناية السلطان قانصوة الغورى ، الذى قام فى سنة ٩١٥هـ/١٥١٠م ببناء منارة ضخمة ذات رأس مزدوج ما تزال باقية إلى يومنا هذا إلى جوار منارة السلطان قايتباى[٢٦٥] .

مصادر ومراجع الفصل السادس

١. المدينـــــة : مشتقة من الفعل (مدن) أي أقام ، والمدينة الحصن يبنى في أصطحه معظم الشيئ ، الأرض ، الجمع مدائن ، ومدن ، ابـــن منظـــور : لسان ، جـ١٧ ، ص٢٨٨ ، ابن سيدة المخصص ، جـ٦ ، ص١١٧

٢. ابـــن حوقـــل : المسالك والممالك ، ص ١٥ ، المقدســـي : أحسن التقاسيم ، ص١٩٤، ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ١ ، ص١٥٠

٣. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص٥١،٥٠

٤. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ،ص ٥٢

٥. اليعقوبي : البلدان ، ص ٧٦

٦. ابن هشام : السيرة ، جـ٣ ، ص١٢٨

٧. ابن شبه:تاريخ المدينة، ص٢٠٢، عبد القدوس الأنصارى : آبار المدينة ص٢٤١

٨. السمهودى : وفاء الوفا ج٣ ص٩٥٣

٩. ابن شبه : تاريخ المدينة ، ص١٠٣

١٠. السمهودى : وفاء الوفا ج٣ ص٩٦٢

١١. الأنصارى : تاريخ المدينة ، ص١١٣

١٢. السمهودى : وفاء الوفا ج٣ ص٩٨٦

١٣. ابن الأثير : الكامل ، ج٢ ص٤١٨

١٤. اليعقوبي : البلدان ، ص٧٦

١٥. ابن هشام : السيره ، ج٣ ص١٢٨

١٦. المقريزى : الذهب المسبوك ص٣٠

١٧. أحمد الشريف : دور الحجاز فى الحياة السياسية ، ص٦٥-٧٠

١٨. السمهودى : وفاء الوفا ج٣ ص١٠٠٦

١٩. سليمان عبد الغنى مالكى : بلاد الحجاز ، ص١٥٥

٢٠. اليعقوبي : البلدان ، ص٧٧

٢١. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص ٤٣٤، محمد عبد الستار: المدينة، ص٥٢

٢٢. الأحزاب: آيه ١٣

٢٣. المسافة من المدينة إلى مكة قدرها ياقوت بنحو عشر مراحل ، والمرحلة مسيرة يوم ، وبالطريق المعبد حاليا حوالي ٤٢٥ك .م ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٧ ، ص٤٣٢.

٢٤. ياقوت : معجم البلدان ، جـ٧ ، ص٤٢٧

٢٥. بدر عبد الرحمن : حكومة الرسول في المدينة ، ص٣٢

٢٦. أحمد إبراهيم الشريف : الدولة الإسلامية الأولى ، ص٥٨

٢٧. ابن هشام : السيرة ، جـ١ ، ص١٣

٢٨. جمال سرور : قيام الدولة العربية ، ص٥٠

٢٩. بدر عبد الرحمن : حكومة الرسول في المدينة ، ص٣٢

٣٠. ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ١ ، ص١٨٨

٣١. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٥٨

٣٢. **ابن شبة** : تاريخ المدينة المنورة ، ص٢٠٢

٣٣. **سليمان عبد الغنى المالكى** : بلاد الحجاز، ص١٧٥ ، ١٧٦

٣٤. **سليمان عبد الغني مالكي** : بلاد الحجاز، ص١٧٥

٣٥. **السمهودى** : وفاء الوفا ، ج٢ ص٣٥٤

٣٦. **السخاوى** التحفة اللطيفة ج١ ص٨٨

٣٧. **إبراهيم رفعت** : مرآة الحرمين ج١ ص٤٢٠

٣٨. **سليمان عبد الغنى المالكى** : بلاد الحجاز، ص١٧٦

٣٩. **جعفر بن السيد إسماعيل المدني** : نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين ، مكتبة بن سلم ، المدينة المنورة ، مكتبة الرفاعي بالقاهرة ، ص٣٨.

٤٠. **إبراهيم رفعت** : مرآة الحرمين جا ص٤٢٥.

٤١. **جعفر بن السيد المدني** : نزهة الناظرين ، ص٣٨

٤٢. **ابن سيد الناس** : عيون الأثر، جا ، ص ١٩٥، ٢٣٠

٤٣. **إبراهيم رفعت** : مرآة الحرمين ج١ ص٣٧٠

٤٤. **سليمان مالكي** : بلاد الحجاز، ص١٦٩

٤٥. **جعفر ابن السيد المدنى** : نزهة الناظرين فى مسجد الأولين ص٣٦

٤٦. **السخاوى** : التحفة اللطيفة ، ج١ ص٣٥

٤٧. **السمهودي** : وفاء الوفا ، جـ٢ ،ص ٣٥٤

٤٨. **جعفر بن السيد المدني** : نزهة الناظرين ، ص٣٦

٤٩. **السخاوي** : التحفة اللطيفة ، ص٨٨

٥٠. سليمان مالكي : بلاد الحجاز، ص ١٦٩.

٥١. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص٥٤

٥٢. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص ٢٦٠، ٢٦١

٥٣. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص ٥٦، ٥٧

٥٤. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص ٥٨

٥٥. ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ٢ ، ص ٢٥٨

٥٦. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٦١

٥٧. الكوفـــة : تقع قرب الحيرة ، وسميت بالكوفة لأستدارتها ، أخذ من قول العرب رأيت كوفانا ، وكوفانا للرميلة المستديرة ، وقيل سميت الكوفة لأجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل ، وقيل الكوفة كل رملة تخالطها حصباء ، أنظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ٤ ، ص٤٩٠ ، الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، لسان العرب لأبن منظور .

٥٨. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص١٤٥

٥٩. ابن يوسف : كتاب الخراج ،ص١٧

٦٠. الطبري : تاريخه جـ٣ ،ص١٤٧

٦١. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة، ص٢٣٧

٦٢. الطبري : تاريخه ،جـ٣، ص١٤٨

٦٣. اليعقوبي : البلدان، ص٩٥،٩٦

٦٤. ياقوت : معجم البلدان ، جـ٧ ،ص٢٩٧

٦٥. **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية ، ص٦٨

٦٦. **الطبري** : تاريخه ،جـ٣ ، ص١٤٩ ، **محمد الخضري** : محاضرات في تاريخ الأمم، ص٢٦٩

٦٧. **الطبري** : تاريخه ، جـ٣ ، ص١٥١

٦٨. **الطبري** : تاريخه ، جـ٣ ، ص١٥١

٦٩. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص٢٣٨

٧٠. **ياقوت** : معجم البلدان جـ٧ ، ص٢٩٩

٧١. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ٧ ، ص ٢٩٧

٧٢. **محمد الخضري** : محاضرات في تاريخ الأمم ، ص ٢٦٩ ، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة ، ص٢٣٩

٧٣. **البصرة** : تعني الأرض الغليظة ، أو حجارة فيها بياض ، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص١٩٢

٧٤. **الطبري** : تاريخه ، جـ٣ ، ص١٤٨ ، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة ، ص٢٣٧

٧٥. **الطبري** : تاريخه ، جـ٣ ، ص٩٠ ، **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٩٤

٧٦. **البلاذري** : فتوح البلدان ، ص٣٥٤

٧٧. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة ، ص٢٣٤

٧٨. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص١٩٤

٧٩. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية ، ص٦٥

٨٠. **البلاذري** : فتوح البلدان ، ص٣٤٥

٨١. **البلاذري** : فتوح البلدان ، ص٣٤٥

٨٢. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ٢، ص١٩٤

٨٣. **الأبلة** : بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها ، أسم لبلد على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، التي مصرت عل أيام عمر بن الخطاب ، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسري ، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٧٦،٧٧

٨٤. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية ، ص٦٦

٨٥. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية ، ص٦٦

٨٦. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة ، ص٢٣٥

٨٧. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية ، ص٦٧

٨٨. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية ، ص٦٧

٨٩. **البلاذري** : فتوح البلدان ، ص٣٥٨

٩٠. **ياقوت** : معجم البلدان ، جـ١ ، ص١٩٩

٩١. **علي جمعة محمد** : المكاييل والموازين ، ص٥٤

٩٢. **الهمداني** : مختصر كتاب البلدان ، ص٥١

٩٣. **المقدسي** : أحسن التقاسيم ، ص ١١٤

٩٤. **ابن الفقية** : مختصر كتاب البلدان ، ص١٨٩

٩٥. **البلاذري** : فتوح البلدان ، جـ٢ ، ص٤٥٤

٩٦. **المقدسي** : أحسن التقاسيم، ص١٢٨

٩٧. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص ٢٣٦

٩٨. الطبري : تاريخه ، جـ٣ ، ص٤٤٦

٩٩. اليعقوبي : البلدان ، ص٨٧

١٠٠. اليعقوبي : البلدان ، ص٨٧

١٠١. محمد حسين : تاريخ مدينة دمشق ص٥٤، ٥٥

١٠٢. محمد بن أحمد كنعـــان : تاريخ الخلافة الراشدة ، خلاصة تاريخ ابن كثير ، ص١٢٣

١٠٣. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٣٦

١٠٤. أحمد شلبي :موسوعة الحضارة ، جـ٥ ، ص١١٠

١٠٥. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٦٤

١٠٦. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩١

١٠٧. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩١

١٠٨. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٢٨٦

١٠٩. علي بهجت ، والبير جرائيل : كتاب حفريات الفسطاط ، ص٣٩

١١٠. ناصر خسرو : سفرنامة ص٥٨

١١١. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٩١ ، ابن ســـعيد : المغرب ، جـ١ ، ص٣٩ ، السيوطي : حسن ، جـ١ ، ص١٣٠

١١٢. عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها ، ص ٥

١١٣. القلقشندي : صبح ، جـ٣ ، ص٣٢٦

١١٤. الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي ، ص ٢٤٩

١١٥. سيدة كاشف : مصر في فجر الأسلام ، ص٢١٧

١١٦. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٠٤ ، فريد شافعي : العمارة العربية ، جـ١ ، ص٣٥٣

١١٧. محمد عبد الستار : المدينة ، ص٦٩

١١٨. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٢٨٦

١١٩. محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص ٦٩

١٢٠. عبد الرحمن زكي : خطط الفسطاط ، ص٥٧-٥٩

١٢١. محمد عبد الستار : المدينة ، ص٦٩

١٢٢. ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ، ص ١٩، ٣٦ ، اليعقوبي : البلدان ، ص٩١

١٢٣. السيوطي : حسن ، جـ١ ، ص٥٨

١٢٤. ابن عبد الحكم : فتوح ، ص١١٠

١٢٥. محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص١٠٨

١٢٦. ابن عبد الحكم : فتوح ، ص١٣٦

١٢٧. ابن خلدون : المقدمة ، ص٣٤٢

١٢٨. الاصطخري : مسالك الممالك ، ص٦

١٢٩. المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٩٩

١٣٠. ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٨٥

١٣١. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر ، ص٦٧

١٣٢. **الكندي** : الولاة والقضاة ، ص٩٥

١٣٣. **المقريزي** : الخطط ، جـ١ ، ص٣٣٥

١٣٤. **محمد حمدي المناوي** : مصر في ظل الإسلام ص١١٢

١٣٥. **المقريزي** : الخطط ، جـ١، ص٣٣٥

١٣٦. **المقريزي** : الخطط ، جـ١ ، ص٣٣٥، ٣٣٦

١٣٧. **ابن سعيد** : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ص٢٧

١٣٨. **قاسم عبده** : عصر سلاطين المماليك ، ص١٩٤

١٣٩. **قاسم عبده** : عصر سلاطين المماليك ، ص١٩٤

١٤٠. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص ١٩٦

١٤١. **ابن الأثير** : الكامل ، جـ٣ ، ص ٢٣١

١٤٢. **ابن عذاري** : البيان والمغرب ، جـ١ ، ص ١٩

١٤٣. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم ، ص٢٧٨

١٤٤. **ابن حوقل** : صورة الأرض ، ص ٨٦

١٤٥. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم ، ص٢٨٠

١٤٦. **ابن الأثير** : الكامل ، جـ٣ ، ص٣٢١

١٤٧. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص١٩٧

١٤٨. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم ، ص٢٨١

١٤٩. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم ، ص ٢٨١

١٥٠. **اليعقوبي** : كتاب البلدان ، ص ١٠٥،١٠٤

١٥١. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر والمغرب ، ص١٩٩، فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص١٨٢

١٥٢. **قرطبة** : لفظ يوناني ، بمعنى القلوب المشككة

١٥٣. **عيسى سلمان وآخرون** :ج١ ، ص٦٨ - انظر المدرسة الإقبالية : النعيمى (عبد القادر بن محمد) ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م : الدارس فى تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسنى، الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ج١ ، ص١٥٨-١٦٠ ، د٠ عبد الله كامل موسى عبده : العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا،دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٨٣ ٠

١٥٤. **الطبرى** : تاريخ الطبرى ، مج٣ ، ص١٤٩

١٥٥. **عيسى سلمان** : العمارات ، ج١ ، ص٦٨

١٥٦. **عيسى سلمان وآخرون** : العمارات ، ج١ ، ص٦٨ -٧١

١٥٧. **شريف يوسف** : تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور ، دار الرشيد، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٢م ، ص٢٤٨

١٥٨. **ابن الأثير** : الكامل ، ج٣ ، ص٥١٤ ، د٠ عيسى سليمان وآخرون : العمارات ، ج١ ، ص٧٢

١٥٩. **عيسى سلمان** : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٠. **عيسى سلمان وآخرون** : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦١. **عيسى سلمان وآخرون** : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٢. **عيسى سلمان وآخرون** : العمارات ، ج١ ، ص٧٣ -٧٤

١٦٣. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٤

١٦٤. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٥. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٦. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٧. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٨. عيسى سلمان : العمارات ، ج١ ، ص٧٣

١٦٩. المقري : نفح الطيب ، جـ١ ، ص٢٦

١٧٠. المقري : نفح الطيب ، جـ١، ص١٤٥

١٧١. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص ٢٨٣

١٧٢. ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١١٢، ١١٣

١٧٣. المقري : نفح الطيب، جـ٢ ، ص٦

١٧٤. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص ١٥

١٧٥. محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص ١٤٧

١٧٦. فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص ١٨٥

١٧٧. المقري : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص١٠

١٧٨. المقري : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص١٢

١٧٩. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٨٨ ، عادل بشتاوي : الأندلسيون المواركة، ص٢٦٨

١٨٠. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص ٣٠٠

١٨١. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر ، ص٥٧

١٨٢. زكي محمد حسن : الفن الإسلامي ، جـ١ ، ص٥٦

١٨٣. صفي علي محمد : مدن مصر الصناعية ، ص١٠٠

١٨٤. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٤

١٨٥. الكندي : الولاة والقضاة ، ص١١٥

١٨٦. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٤

١٨٧. Sohernhiem : Encyclopedia of islam History of The Town of fustat, vol.,I.P.817

١٨٨. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٤

١٨٩. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر ، ص١١٣

١٩٠. القلقشندي : صبح، جـ٣ ، ص٣٣٧، المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص٥٠٤

١٩١. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٥

١٩٢. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٠٥

١٩٣. هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ٢ ، ص٢٤٩

١٩٤. بغداد : لفظ فارسي معناه بستان رجل وهو مكون من (باغ بمعنى بستان ، داد بمعنى رجل ، ولها أسماء كثيرة منها بغداد بالذال ، ودار السلام ، وبغداد ، ويقال الزوراء ، ومدينة المنصور، ابن طباطبا : الفخري ، ص١٦٣ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ٢ ،ص٢٣

١٩٥. ابن طباطبا: الفخري ، ص١٦١

١٩٦. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص٢٤٤

١٩٧. ابن طباطبا : الفخري ،ص١٦١

١٩٨. ابن طباطبا : الفخري ،ص١٦٢

١٩٩. يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص٤٠

٢٠٠. المسعودي : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٣٢

٢٠١. أبو زيد شلبي : تاريخ الحضارة ، ص٢٤٥

٢٠٢. أبن طباطبا : الفخري ، ص١٦٣

٢٠٣. اليعقوبي : البلدان ، ص١٥

٢٠٤. اليعقوبي : البلدان ، ص١٥

٢٠٥. اليعقوبي : البلدان ، ص١٨ ، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية ، ص٢٥٦

٢٠٦. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٦٥

٢٠٧. المسعودي : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٣٢

٢٠٨. اليعقوبي : البلدان ، ص١٠٩

٢٠٩. فتحية النبراوي : تاريخ النظم ، ص٢٦٥

٢١٠. البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٣ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٥

٢١١. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٣ ، ابن دقماق : الأنتصار ، جـ٤ ، ص١٤١

٢١٢. هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ١ ، ص٢٤٩

٢١٣. البلوي : سيرة ابن طولون ، ص٥٤

٢١٤. أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر ، ص ٩٥

٢١٥. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٣ ، ابن دقماق : الأنتصار ، جـ٣ ، ص١٤١

٢١٦. **أحمد فكري** : مساجد القاهرة ومدارسها ، ص١٠٩

٢١٧. **أحمد فكري** : مساجد القاهرة ، ص١١١

٢١٨. **أبو المحاسن** : النجوم ، جـ٣ ، ص١١

٢١٩. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر ، ص١٢٧

٢٢٠. **فريدة شافعي** : مأذنة مسجد ابن طولون ، ص١٦٨،١٦٧

٢٢١. **زكي محمد حسن** : الفن الإسلامي ، جـ١ ، ص٥٦

٢٢٢. **البلوي** : سيرة ابن طولون ، ص٥٣

٢٢٣. **زكي محمد حسن** : الفن الإسلامي ، ص٣٨

٢٢٤. **البلوي** : سيرة ابن طولون ، ص٥٤ ، **المقريزي** : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٥

٢٢٥. **البلوي** : سيرة ابن طولون ، ص٥٤

٢٢٦. **أبو المحاسن** : النجوم ، جـ٣ ، ص٦١

٢٢٧. **المقريزي** : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٧ ، **أبو المحاسن** : النجوم ، جـ٣ ، ص٥٥

٢٢٨. **المقريزي** : الخطط ، جـ١ ، ص٣١٦

٢٢٩. **ابن دقماق** : الأنتصار ، جـ٤، ص١٣١،**ابن أياس** : بدائع الزهور ، جـ١ ، ص ١٧٠

٢٣٠. **المقريزي** : الخطط ، جـ١ ، ص٣٢٣

٢٣١. **المقريزي** : الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٠

٢٣٢. **المقريزي** : الخطط ، جـ١ ، ص٣٥٩

٢٣٣. **عبد الرحمن زكي** : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩

٢٣٤. **ابن دقماق** :الانتصار ، جـ٥ ، ص٣٦

٢٣٥. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩

٢٣٦. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٢٧٧

٢٣٧. القلقشندي : صبح ، جـ٣ ، ص٢٥٣

٢٣٨. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٨٢

٢٣٩. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص١١٧

٢٤٠. أبو شامه : الروضتين ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٨٧

٢٤١. القلقشندي : صبح جـ٣ ، ص٣٥٥ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص١١٢

٢٤٢. ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ص٢٥

٢٤٣. المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٨٣

٢٤٤. ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٤٨

٢٤٥. ابن دقماق :الانتصار ، جـ٥ ، ص٣٥

٢٤٦. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٧٧

٢٤٧. ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٩، عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩

٢٤٨. أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة ، ١٩٦٥، جـ١ ، ص٢٤

٢٤٩. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ى، ص٤٦٩

٢٥٠. ابن الصيرفي : الأشارة إلى من نال الوزارة ، ص٩٧

٢٥١. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٧٤

٢٥٢. المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص٣٦٤

٢٥٣. عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص٤٦٩

٢٥٤. **عبد الرحم زكي** : أسوار القاهرة وأبوابها ، ص٣٢

٢٥٥. **شحاته عيسى إبراهيم** ، القاهرة ، ص٧٦

٢٥٦. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص٢١٩ ، **شحاته إبراهيم** : القاهرة ، ص٢٧٦

٢٥٧. **المقريزي** : الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٣

٢٥٨. **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد ، جـ١ ، ص٤٩ ، **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر ، ص٢٢٠

٢٥٩. **المقريزي** : الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٥

٢٦٠. **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد ، جـ١ ، ص٥١

٢٦١. **المقريزي** : السلوك ، جـ١ ، ص٥٥٦

٢٦٢. **المقريزي** : الخطط ، جـ٢ ، ص٢٧٦ ، **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد ، جـ١ ، ص٥٤ ، **سعاد ماهر** : مساجد مصر ، جـ١ ، ص٢٠١

٢٦٣. **السخاوي** : الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص٢٠٩

٢٦٤. **ابن إياس** : بدائع الزهور ، جـ٣ ، ص٦٢